مركز الكلمة للأبحاث والدراسات
قضايا اجتماعية

مكانة المرأة في المسيحية

د. هاني سميح

جميع الحقوق محفوظة

٢٠٢٤

مكانة المرأة في المسيحية

د. هاني سميح

تقديم

يوصف عصرنا بأنه عصر انفجار المعلومات، وقد ساعدت السوشيال ميديا على انتشار هذه المعلومات بسرعة مذهلة.

وقد مر عالمنا عمومًا وبشكل خاص منطقتنا – الشرق الأوسط – بأحداث كثيرة وكبيرة وخطيرة غيرت أو كادت أن تغير شكل وحال المنطقة، بدايةً من الفوضى الخلاقة وأحداث ما سُمي بالربيع العربي، وما نتج عنهما من صعود تيار الإسلام السياسي وهجرة المسيحيين حتى أنه يقال إن نسبتهم أصبحت ٣٪ بعد أن كانت ٤١٪، بالإضافة إلى ما أصاب العالم من جائحة كورونا وتوابعها الصحية والاقتصادية والاجتماعية، إلى جانب ارتفاع نسبة الإلحاد في المنطقة العربية، حيث تقول إحدى الإحصائيات إن نسبة الإلحاد في بعض الدول العربية قد وصلت إلى ٦٣٪.

هذه الأحداث وغيرها أدت فيما أدت زيادة التشويش الذهني للمواطن العربي عمومًا والمسيحي خصوصًا والذي يعيش في مجتمع متعدد الثقافات يحاول تشكيل قيمه ومبادئه بحسب هذه الثقافات، والتي تكون أحيانًا مخالفة لما يؤمن به ويعتقد فيه.

وهذه السلسلة من الكتيبات هي بمثابة محاولة لمعالجة بعض القضايا الفكرية اللاهوتية والاجتماعية من منظور مسيحي كتابي.

ونرجو أن تنجح هذه المحاولات في إزالة حالة التشويش والحيرة التي أصابتنا.

ويسر المركز أن يقدم للقارئ العربي هذا الكتاب الهام، الذي يناقش قضية المرأة ومكانتها في المسيحية وموقف المسيح من المرأة.

يأخذنا الباحث في الفصل الأول في جولة مستعرضًا مكانة المرأة في الحضارات المختلفة، وتخصيص الفصل الثاني والثالث لمكانة المرأة في العهد القديم والعهد الجديد، وفي الفصل الرابع يناقش بعض الإشكاليات المثيرة للجدل مثل رسامة المرأة قسًا وما بين الموروث الثقافي والنص الكتابي. وببراعة مستخدمًا دراسته للغات الكتاب، فك الباحث إشكاليات تفسيرية لبعض الآيات.

والمركز يتقدم بخالص الشكر والتقدير للدكتور هاني سميح للجهد المتميز الذي بذله في البحث، مصليًا أن يكون الكتاب بركة للقارئ العربي.

د. ثروت صموئيل – مدير مركز الكلمة

المقدمة

بالرغم من كم المعاناة التي تعانيها المرأة وخصوصًا في مجتمعاتنا الشرقية، إلا أن كلمة الرب تعلن بوضوح أنها إنسان أنثوي كامل، صار لها بفضل الإكرام والمكانة اللتين منحهما الله لها أن تقف على قدم المساواة بجانب الرجل في كل مجالات الحياة، والكتاب المقدس يقدم البراهين الكثيرة التي تدعم هذا الحق. وقد اختلفت مكانة المرأة في الحضارات القديمة باختلاف الظروف والأحداث في تلك الحضارات والثقافات. هناك حضارات قدَّست المرأة كرمز للخصوبة، أو أصل الحياة، وهناك حضارات أمعنت من إهانة المرأة وإذلالها. لكن، بشكل عام، يجب أن نعلم أنه حتى الحضارات التي أعطت المرأة حقوقها لم تنصفها تمامًا، وكانت حالة الإنصاف للمرأة تتأرجح بين تكريم فترة وإهانة وإذلال لها فترة أخرى، بحسب المعطيات في كل عصر ومكان.

والكتاب المقدس يقدم لنا العديد من نماذج النساء اللواتي يتحلين بالشهامة والكرامة ونُبل الأخلاق. فقد تكون المرأة وفية لوطنها كأستير، نبية كدبورة، تقية كأليصابات، مُحبة كمريم المجدلية، مثابرة كحاملات الطيب، منفتحة وتلقائية كالسامرية. وقد برهنت الأناجيل عن أمانة فائقة وتبعت السيد حتى القيامة. فهل بعد ذلك هناك شكوك حول دعوة المرأة للخدمة؟

إن خطة الله لمكانة المرأة في الملكوت والتي بدأت منذ أن خلقها الرب ستواصل النمو حتى تسترد المرأة المكانة التي خصصها لها الله في الحياة حتى تأتي بثمارها.

وهذا البحث هو محاولة لإلقاء نظرة على مكانة المرأة في المسيحية من وجهة النظر الكتابية. وهو محاولة لفتح نافذة على الحق المتعلق بخطة الله بالنسبة للمرأة.

أخيرًا، أصلي من كل قلبي أن يسد هذا البحث فراغًا في المكتبة المسيحية العربية، وأن يفيد منه زملائي الباحثين، وأن يساعد القارئ على فهم دور ومكانة المرأة في المسيحية بحسب إرادة الله المعلنة لنا في الحق الكتابي لسد الهوة العميقة الموجودة بين الرجال والنساء في جسد المسيح الواحد.

د. هاني سميح

الفصل الأول

المرأة في بعض الحضارات القديمة

خلال العصور المختلفة منذ آلاف السنين وتعاقب الأجيال، نالت المرأة الكثير من الامتيازات، وإن كانت غير متطابقة مع امتيازات الرجل، وقد شملت تلك الامتيازات جميع المجالات في الحياة. في الماضي، كانت القوة العضلية مطلوبة وكان لها الدور الرئيسي في إدارة شؤون الناس. فالأنشطة المختلفة كالزراعة والحروب وإقامة التجمعات السكنية... إلخ، هي أنشطة تتطلب مجهودًا عضليًا هائلاً، فلم تكن هناك آلات أو وسائل كافية ومتطورة لتسهيل العمل.

ومن هنا ظهرت غَلَبَة الرجل على المرأة، وبقيت للمرأة بعض المهام مثل تربية الأطفال والتغذية والعناية بالمنزل، وهو دور يحتاج إلى حماية أفراد العائلة الأوسع، الأمر الذي لا تستطيع المرأة القيام به. ومن ثَمَّ، فإن دورها كان يُنظر إليه على أنه أقل أهمية. هذا من حيث العمل والإنتاج وعلاقته بالقوة العضلية. أما بالنسبة للوضع الأسري، فالمرأة والأبناء الصغار أيضًا كانوا في حاجة إلى الحماية من غدر الطبيعة (الفيضانات، اضطراب الأحوال الجوية، الكوارث الطبيعية، أخطار الحيوانات... إلخ) وأيضًا بحاجة إلى بناء مكان للمعيشة وغير ذلك، وكلها أمور تتطلب قوة عضلية في المقام الأول، مع عدم وجود أدوات تعوض عن تلك القوة أو تحل محلها. ولذلك كان من الطبيعي أن يوفر الرجل لأهل بيته القوة العضلية اللازمة للمأوى والحماية، وهنا لن تتمكن المرأة والأطفال الصغار من القيام بهذا العمل، أو على الأقل جزء منه، وقد كان تجنيب المرأة هذه المتاعب بمثابة تعبير عن إكرامها.

لكن الإنسانية تجاوزت هذه المراحل بكثير، ويومًا فيومًا يزداد الاستغناء عن القوة العضلية وأيضًا العامل البشري من الأساس، وأصبحت الآن الآلة تحل محل الإنسان، وتؤثر سلبيًا على توفير فرص عمل للقوى البشرية. واليوم إذا ظلت المرأة محرومة من منحها الفرص لتحقيق ذاتها بحجة حمايتها فستتحول تلك الحماية إلى قيد خانق.[1]

وقد اختلفت مكانة المرأة في الحضارات القديمة باختلاف الظروف والأحداث في تلك الحضارات والثقافات. هناك حضارة اتسمت بنوع من الاستقرار مع ما رافق ذلك من استقرار تشريعي وقوانين، في حين كانت هناك حضارات لم تشهد استقرارًا، واتسمت بالحروب المتتالية أو الترحال. وهناك حضارات قدَّست المرأة كرمز للخصوبة، أو أصل الحياة. وهكذا اختلف نظام الحياة الاجتماعي، وبالتالي اختلف وضع المرأة باختلاف كل حضارة على حدة.

لكن، بشكل عام، يجب أن نعلم أنه حتى الحضارات التي أعطت المرأة حقوقها لم تنصفها تمامًا. وكانت حالة الإنصاف للمرأة تتأرجح بين تكريم فترة وإهانة وإذلال فترة أخرى، بحسب المعطيات في كل عصر ومكان. وعند النظر إلى مكانة المرأة في العديد من الثقافات والأديان، نرى أن المجتمع الأمومي احتل فترة من الوقت، حيث كان الأطفال ينتسبون فيها إلى الأم، بل كانت الآلهة من النساء، وتمتعت النساء بحقوق واسعة في ظل المجتمع الأمومي، لكن هذا المجتمع انتهى وظهر المجتمع الأبوي، حيث تولى الرجل

[1] فنيس نقولا. قضيتك يا سيدتي مسئولية مَنْ؟، ٦-٧.

زمام المبادرة في جميع المجالات القانونية والاجتماعية والاقتصادية.[٢]

المرأة في الحضارة الفرعونية

إن آثار مصر القديمة ترسم صورة للدولة الخالدة التي كان للمرأة المصرية فيها دور كامل تؤديه، فهي الأم التي تحظى بالاحترام والتبجيل، والفتاة أو الزوجة التي تنصاع لقوانين أخلاقية صارمة، ولكنها لا تمنعها من أن تعبّر عن آرائها بحرية ولا تحرمها من أن تحظى بالاحترام والتقدير. فلقد تمتعت المرأة في مصر القديمة بأهلية قضائية كاملة، وكان لها استقلالها المالي عن الرجل، وطبعت بشخصيتها القوية أثرها على الحياة العائلية، وكان لها أن تدير الممتلكات العامة أو ممتلكاتها الخاصة، بل وأن تمسك بزمام الأمور في البلاد. ولا يعني هذا أنها امرأة تجردت من الأنوثة والجاذبية فهي امرأة فاتنة جذابة.

وكان هدف الفتاة الأساسي أن تختار شريك حياتها بكل إرادتها وحريتها، وأن تصبح زوجة وأمًا صالحةً. ولا يعني هذا أن النظام الأسري كان أموميًا، أي أن الأم تُخضعه لسلطانها، بل كان الزوج والزوجة يتقاسمان المسئوليات المعتادة في إطار حياتهما الزوجية، حيث يتكاتفان في السراء والضراء، وتسير بهما الحياة سيرها العادي بخيرها وشرها.[٣]

وقد اهتم المصريون بإظهار العنصر الأنثوي داخل النطاق الديني، فكان لكل مدينة أو إقليم معبود له زوجة من الآلهة تُنجب له ابنًا يكون هو أيضًا إلهًا، كما في أسطورة أوزوريس وإيزيس وابنهما حورس. وكان للمرأة في الحضارة الفرعونية دور كبير حتى وصلت إلى سدة الحكم مثل زوجة أمينوفس، وأم أخناتون، ونفرتيتي زوجة أخناتون، وكليوباترا.[٤] وكانت أبرز هؤلاء الملكات هي الملكة حتشبسوت (١٤٨٣ ق.م –١٥٠٤ ق.م)، فقد كانت امرأة فذة وفريدة من نوعها، وكانت تتمتع بذكاء وشخصية قوية. كما كانت الملكة الأم تصبح وصية على العرش في وقت الأزمات، أو في حالة افتقار العرش إلى سلطة الملك الذكر البالغ.[٥] فالحضارة الفرعونية أعطت نموذجًا فريدًا لمكانة المرأة كان محل إعجاب العالم كله.[٦]

المرأة في الحضارة السومرية

كان السومريون على قدر عالٍ من الحضارة، فتوصلوا إلى معرفة فن الكتابة، كما عرفوا فنونًا جديدة في طريقة بناء المنازل، واستخدموا الطين المحروق بدلاً من الحجارة في البناء، وبنوا المعابد وألحقوا بها أبراجًا عرفت بالزاجورات. وكانت المنطقة الجنوبية من العراق تُعرف باسم سومر، وقد كان للمرأة دور ومكانة عظيمان في الحضارة السومرية ويظهر ذلك من خلال الديانة والقوانين السومرية.

فالسومريون كانوا يعبدون آلهة الطبيعة، ويمجدون الخصوبة، ومن هنا كان تقديس المرأة لارتباطها بالخصوبة والأمومة. ففي قصة الخلق السومرية، تأخذ الإلهة "ننهورساج" وضعًا مميزًا حيث تجعلها القصة السبب في خلق البشر. والعديد من الأساطير السومرية تتناول مكانة الإلهات العظيمات مثل الإلهة "أي" إلهة الحكمة والحياة الأبدية، والإلهة "عشتار" إلهة الخصب والنماء. وفي الحضارة السومرية، تولت المرأة منصب الكهانة، وكان هذا المنصب يصدر به مرسوم ملكي، وكانت أكثر الكاهنات من أصل ملكي.

---

[٢] فنيس نقولا. قضيتك يا سيدتي، مسئولية مَنْ؟، ٢٧–٢٨.

[٣] كريستيان ديروش نوبلكور. المرأة الفرعونية، ١١.

[٤] فنيس نقولا. قضيتك يا سيدتي مسئولية مَنْ؟، ٣٠.

[٥] كريستيان ديروش نوبلكور. المرأة الفرعونية، ٣٦٣.

[٦] المرجع السابق، ٧–٨.

واشتركت المرأة في النشاط العام للمجتمع ووصلت إلى منصب الملكة. وكانت تُقام للملكة بعد موتها نفس المراسم الجنائزية الخاصة بالملك. وإلى جانب عمل المرأة كحاكمة وملكة، تمتعت أيضًا بحرية العمل وحرية امتلاك العقارات والعمل بالتجارة، فالقانون السومري أعطى المرأة الحرية والاستقلال القانوني في الشئون المالية. وقد نظمت القوانين السومرية أمور الزواج والطلاق، وكان القانون السومري يلزم الرجل بأن يحصل على موافقة المرأة وأبوها لإتمام مراسم الخطبة والزواج. ولم يكن السومريون يفضلون تعدد الزوجات، والزوجة الثانية كانت تأتي في مكانة أقل من مكانة الزوجة الأولى. وكانت الأم تتمتع باحترام أبنائها، والابن الذي يسب أمه كان يعاقب بوضع علامة العبودية على جبهته ويباع بالفضة.[٧]

المرأة في الحضارة البابلية

لم يختلف وضع المرأة كثيرًا في بابل عما كان عليه في المجتمع السومري، فنفس المعتقدات الدينية التي كانت سائدة في سومر ظلت سائدة في بابل، وكذلك تأثرت قوانين حمورابي بالقوانين السومرية. كانت الإلهة السومرية التي عُرفت عند البابليين باسم "عشتار" من أهم الإلهة البابلية، وكانت عبادتها تصاحبها طقوس عبادة الخصوبة التي كان يمارسها السومريون وظل البابليون يمارسونها.

وعرفت الديانة البابلية العديد من الكاهنات المختلفات في المكانة الاجتماعية والحقوق والوظيفة، وكان يتم اختيارهن من طبقة اجتماعية راقية، وكان للكاهنات أيضًا حق ممارسة التجارة والاحتفاظ بحقهن في الميراث.

وقد منح القانون البابلي – قانون حمورابي – للمرأة قدر كبير من الحرية والاستقلال في العمل وتولي المناصب الهامة. وكانت البنات تذهبن إلى المدارس لتلقي العلم جنبًا إلى جنب مع الأولاد. واهتم حمورابي بالقوانين المتعلقة بالأسرة، وحاول أن يحمي الضعفاء من الأرامل واليتامى.

وكان عقد الزواج يُعتبر ضروريًا لشرعية الزواج، وينص على حقوق وواجبات الطرفين كل تجاه الآخر. ولم يكن الزواج يؤثر على حقوق الزوجة في ممتلكاتها واستقلالها في إدارة شئونها المالية ونشاطها في شتى أنواع المهن مثل التجارة أو الزراعة، وكانت لها كافة الحقوق القانونية في عقد عقود البيع والشراء دون وصاية من أحد. وكان القانون يمنع الرجل من هجر زوجته بدون سبب. ولم يكن الطلاق حقًا مطلقًا للرجل بل كانت سلطة التطليق في يد كل من الرجل والمرأة. واهتم قانون حمورابي بحماية الأرملة فأعطاها الحق في الإقامة في المنزل بعد وفاة زوجها، وكانت تشارك في الميراث كأحد الأبناء.[٨]

المرأة في الحضارة الآشورية

آشور مدينة قديمة في سهل "دجلة"، بُنيت في العهد السومري لكي تصد الهجمات التي تأتي من الشمال. وقد سُميت بهذا الاسم نسبةً إلى إلهها المحلي الإله "أشو". وفي زمن الإمبراطورية الآشورية، أطلق اسم آشور على الدولة بأكملها، وبقيت مدينة "آشور" عاصمة جنوبية، ومدينة "نينوى" عاصمة شمالية. وفي عهد سنحاريب (٧٠٥–٦٧١ ق. م)، أصبحت آشور مركزًا دينيًا ضخمًا.

ولم يهتم الآشوريون بوضع القوانين وجمعها مثل البابليين، فالقانون الآشوري قيَّد حرية المرأة، وقد أدى هذا إلى تدهور مكانة المرأة الاجتماعية عما كانت عليه في بابل.

ولكن، بالرغم من ذلك، فقد استطاعت بعض النساء ممارسة حريتهن في الحياة العامة. واستطاعت المرأة الآشورية أن تتولى الحكم مثل الملكة "سميراميس" زوجة الملك "شمس أدد"، وقد كانت ذات مقام رفيع، وعَظُمَ نفوذها في المملكة.

---

[٧] سوزان السعيد. المرأة في الشريعة اليهودية حقوقها وواجباتها، ٢٥–٣٠.

[٨] المرجع السابق، ٣٠–٣٦.

وفيما يتعلق بشئون الزواج، أعطى القانون الآشوري الأب الحق الكامل في تزويج ابنته. وفي بعض الأحيان، كان يتم تزويج الفتاة كسداد لديون أبيها للدائن. والمجتمع الآشوري باعتباره مجتمعًا حربيًا كان يشجع على الإكثار من النسل، ولذلك انتشرت ظاهرة تعدد الزوجات في المجتمع الآشوري. وكان الطلاق في القانون الآشوري حقًا مُطلق للرجل، وبالنسبة للميراث، كان للأبناء الذكور فقط، ولم يكن للبنات أو الزوجة أي حق في الميراث. وكان امتلاك العبيد والإماء منتشرًا بين الآشوريين بسبب الحروب. وكانت الأمة خاضعة ومُلكًا خاصًا لسيدها، فكان من حقه أن يستخدمها كخادمة في المنزل، أو لنفسه، أو يقدمها للدعارة، أو يبيعها حتى لو أنجبت منه، ولكن يمكن أن تكتسب حريتها هي وأولادها في حالة موت سيدها.[٩]

المرأة في الحضارة الرومانية

أما الرومان فهم من أقدم الأمم وضعًا للقوانين المدنية، فقد وُضِعَ في روما القانون لأول مرة حوالي سنة أربعمائة قبل الميلاد ، ثم أخذ الرومان في تكميله تدريجًا. فالقانون الروماني هو عصر المكاسب لحواء التي حصلت على بعض حقوقها رغم خضوعها لسلطة الأب إذا كانت غير متزوجة، كما كانت المرأة العبدة خاضعة لسلطة سيدها. أما الزواج في العهد الروماني فهو ينقسم إلى قسمين:

– زواج مع السيادة: وهو يعنى انفصال الزوجة عن أهلها وانتقالها من سلطة الأب إلى سلطة الزوج.

– زواج بدون سيادة: وهو يعني أن الزوجة تشارك الزوج في الحياة الزوجية ولكن لها الحق في أن تبقى مع أسرتها، وتجب عليها طاعة زوجها واحترام رغباته.

أما بالنسبة للأهلية المالية، فلم يكن للبنت حق التملك، وإذا اكتسبت مالاً أُضيف إلى أموال الأسرة، ولا يؤثر على ذلك بلوغها ولا زواجها. وفي العصور المتأخرة في عهد "قسطنطين"، تَقَرَرَ أن الأموال التي تحوزها البنت عن طريق ميراث أمها تتميز عن أموال أبيها، ولكن له الحق في استعمالها واستغلالها، وعند تحرير البنت من سلطة رب الأسرة يحتفظ الأب بثلث أموالها كَمُلك له ويعطيها الثلثين.

– وفي عهد "جوستنيان"، قرر أن كل ما تكتسبه البنت بسبب عملها أو عن طريق شخص آخر غير رب أسرتها يُعتبر ملكًا لها، أما الأموال التي يعطيها رب الأسرة فتظل ملكًا له. على أنها وإن أُعطيت حق تملك تلك الأموال فإنها لم تكن تستطيع التصرف فيها دون موافقة رب الأسرة.

وإذا مات رب الأسرة يتحرر الابن إذا كان بالغًا، أما الفتاة فتنتقل الولاية عليها إلى الوصي ما دامت على قيد الحياة، ثم عُدِّل ذلك أخيرًا بحيلة للتخلص من ولاية الوصي الشرعي بأن تبيع المرأة نفسها لولي تختاره، فيكون مُتفقًا فيما بينهما أن هذا البيع لتحريرها من قيود الولاية، فلا يعارضها الولي الذي اشتراها في أي تصرف تقوم به.

المرأة في المجتمع العربي

سكن العرب في شبه الجزيرة العربية، وهي منطقة حارة أرضها جدباء، وكان العرب قبائل بدوية بعيدة عن الحضارة والمدنية، يعيشون على شن الغارات، ويجاورهم من الشرق بلاد فارس، ومن الشمال الروم، ومن الغرب بلاد الحبشة والسودان.

كان العرب يفضلون الذكور ويكرهون الإناث. وانتشرت عادة وأد البنات بينهم، وكانت هذه العادة متعلقة بغيرة العربي على

[٩] المرجع السابق، ٣٠-٣٦.

نسبه وخوفه من أسر بناته في الحرب، أو سوء الأحوال الاقتصادية.[١٠] وكانت عادة تعدد الزوجات شائعة بين العرب، وفي هذه الحالة يُقسم الأبناء حسب الانتماء للام.

وكان الزنا جريمة تُعاقَب عليها المرأة بأشد أنواع العقوبات، وفي حالة شك الرجل في امرأته، كان عليه أن يحتكم معها إلى الكاهن، فهند بنت عتبة حين اتهمها زوجها بالخيانة ذهبت مع أبيها وقوم من عشيرتها إلى أحد كهان اليمن، وهناك أثبت الكاهن برأتها، ولكنها أصرت على الطلاق من زوجها. فالعرف العربي كان يعطي المرأة الحق في طلاق زوجها في مثل هذه الاتهامات. والزنا لم يكن محرمًا بالنسبة للرجال، وكانت بيوت البغايا منتشرة في الأسواق والمدن، ولكن تمادي الرجل في الفسق والفجور كان يعرضه للطرد من قبيلته.

في حالة فشل العلاقة الزوجية، كان يتم الانفصال بين الرجل والمرأة، والطلاق كان يتم إما عن طريق طرد الرجل لزوجته، أو عن طريق الاتفاق الودي بين الزوج وأبو الزوجة. وقد أدت هذه السهولة في الطلاق إلى ارتباط المرأة بأقاربها من الدم أكثر من ارتباطها بزوجها. ولم يكن إمام المطلقة التي يتخلى أهلها عن حمايتها إلا أن تلجأ إلى طلب الجوار من قبيلة أخرى.

ولم يكن للزوجة والبنات حق في الميراث، وكان العرب يقولون: لا يرثنا إلا مَنْ يحمل السيف ويحمي الممتلكات. فإذا مات الرجل يرثه ابنه الذكر، فإن لم يكن فأقرب واحد من إخوته أو أعمامه، وكان الوارث يرث أيضًا نساء وبنات المتوفى، وكان يضم نساءه وبناته إلى نساء الوارث ويكون لهن ما لهن وعليهن ما عليهن.[١١]

خلاصة القول إن جميع الحضارات الماضية والمعاصرة أعطت للمرأة نوعًا من الحقوق، وأحيانًا لم تستمر لوقت طويل، كما تفاوتت هذه الحقوق من عصر إلى عصر آخر.

---

[١٠] فنيس نقولا. قضيتك يا سيدتي، مسئولية مَنْ؟، ٣٧-٣٩.

[١١] سوزان السعيد. المرأة في الشريعة اليهودية حقوقها وواجباتها، ٥٥-٥٧.

الفصل الثاني

المرأة في العهد القديم

هناك علاقة بين المرأة المسيحية والعهد القديم، فجذور المسيحية متأصلة في العهد القديم. ولا يمكن فصل العهد القديم عن العهد الجديد بسبب تعليم المسيح الذي قال إنه لم يأتي لينقض الناموس أو العهد القديم بل ليتممه (مت٥: ١٧). فالمرأة المسيحية تستمد جزءًا من هويتها وعقيدتها من تعاليم العهد القديم والعهد الجديد اللذين يمثلان جسدًا واحدًا لا ينفصل.[١]

المرأة المخلوق ذو النمط الفريد

سنتوقف الآن عند محطات أعتبرها هامة لإدراك المعنى العميق لدور ومكانة المرأة في العهد القديم. نبدأ بجولة في الإصحاحات الثلاثة الأولى سفر التكوين تعرِّفنا على المرأة منذ تكوينها، فنضعها في إطارها الكتابي.[٢]

ففي هذه الرواية نقرأ: "فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ" (تك١: ١). وإذا وجد الله أن الأرض كانت في حالة من الخراب والخواء، يقدم لنا النص (تك١: ٢) أهم تعبير وصفي وهو المزيج (תהו ובהו توهو وبوهو) أي "خَرِبَةً وَخَالِيَةً". إن المعنى الضمني هنا هو أن المادة موجودة بصفة عامة، ولكن بلا شكل، وأن خشبة المسرح خالية من الممثلين.

ويظهر المزيج (תהו ובהו خَرِبَةً وَخَالِيَةً) مرتين أخريين في العهد القديم (إش٣٤: ١١؛ وإر٤: ٢٣). ولا تظهر كلمة (בהו بوهو) وحدها مطلقًا، ولذلك لا نستطيع تحديد معناها بالتدقيق على أنها تشير إلى حالة الفراغ. إذن علينا أن نكتفي بما يمكننا تحديده بشان معنى (תהו توهو) في المرات العشرين التي ظهرت فيها – أكثر من نصفها في سفر إشعياء – حيث نجد أنها غالبًا ما تصف برية، أو أرضًا مقفرة (كما في تث ٣٢: ١٠؛ أي٦: ١٨؛ ٢٤: ١٢؛ مز ١٠٧: ٤٠). ويمكن أن تصف نتائج الدمار (إر٤: ٢٣)، وهي تُستخدم لتُعبِّر عن أمور ليس لها قصد أو معنى مثل الأوثان (إش٤١: ٢٩)، ومَنْ يصنعونها (إش٤٤: ٩). ويمكن توحيد كل استخداماتها في فكرة الأشياء التي ليس لها غرض أو قيمة، فهي ينقصها النظام والوظيفة.

في مفهوم العهد القديم العبري، العدم هو الفوضى وعدم النظام، وهو يعني أيضًا أن المكان غير ملائم للمعيشة، لذلك نجد في أسفار الأنبياء حين كانوا يتحدثون باللغة النبوية عن دمار أورشليم وخراب الكون وسقوط النجوم والكواكب يشيرون ببساطة إلى رجوع إلى حالة الخراب والخلاء (תהו ובהו توهو وبوهو)، حتى وإن كان المكان موجود جغرافيًا، ولكنه أصبح عدم وفوضى وغير ملائم للسكن، أو أصبح في فوضى وظلمة، هذا هو مفهوم العدم العبري[٣] ولا بد هنا من التنويه على أن عقيدة الخلق من العدم

---

[١] حنا ودينا كتناشو. أطلقوني – دور ومكانة المرأة في المسيحية، ١٣.

[٢] إيما غريب خوري. المرأة في الكتاب المقدس: من حواء إلى مريم، ٢٨.

[٣] جون إتش. والتون. عالم آدم وحواء المفقود، ١٦-١٧.

لها شواهد أخرى كثيرة، وهي عقيدة أصيلة، وقد أكد كُتَّاب العهد الجديد على ذلك (يو١: ٣، كو١: ١٥-١٧، عب١١: ٣).

فجأة يتغير المشهد وتظهر القوة الإلهية جاهزة للتحرك والعمل، "وَرُوحُ اللهِ يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ" (تك ١:٢)، هنا يعيد الله الخالق تشكيل وخلق العالم في ستة أيام، وفي كل يوم بعد أن يُنهي الله عمله يوصف ذلك العمل قائلاً: "أَنَّهُ حَسَنٌ כִּי-טוֹב" (تك١: ٤، ١٠، ١٢، ١٨، ٢١، ٢٥، ٣١)

ثم نقرأ كيف أن الرب أخرج الضباب من الأرض لكي يرويها ويخصبها (تك٢: ٦)، ومن تراب الأرض المبتل جبل الله أدم بيديه وكأنه خزَّاف يصنع بفن الأواني الفخارية بكل تأنٍ (تك٢: ٧)، ثم بعد أن جبل الرب الرجل أعطاه شكلاً متناسقًا ونفخ في أنفه نسمة حياة وهكذا أصبح الرجل كائنًا حيًا، ودُعي آدم أي: الآتي من أديم الأرض. وهو اسم جمع يعني الإنسان الأول.[٤]

بعد أن خلق الله الرجل خلق له جنة عدن وزرعها، وأصبحت فردوسًا جميلاً فيه جميع أنواع الأشجار. وأخيرًا وجد الله الرجل وحيدًا، وهنا نرى في تقرير الرب عن آدم وهو وحيد أمرًا ملفتًا للنظر إذ يقول: "لَيْسَ جَيِّدًا أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ، فَأَصْنَعَ لَهُ مُعِينًا نَظِيرَهُ" (تك٢: ١٨).

الملفت هنا أن نفس الكلمة اللي وصف بها الله ما خلقه بأنه "حَسَنٌ טוֹב" قام الرب بنفي هذه الحالة عن آدم قائلاً "لَيْسَ جَيِّدًا לֹא-טוֹב" كما لو كان آدم بدون زوجته حواء في حالة من (תהו ובהו توهو وبوهو)، فقال الرب: "فَأَصْنَعَ لَهُ مُعِينًا نَظِيرَهُ". ونلاحظ هنا دقة الوحي في أن كلمة "نَظِيرَهُ כְּנֶגְדּוֹ" تُنطق (كنجدو) أي مشابهة مكافئة له تمامًا، أو نظيرًا من نفسه[٥]، أي واحدة شُكلت مِنه وفي تشابه مثالي مع شخصه. والكلمة (כְּנֶגְדּוֹ كنجدو) حرفيًا تدل على واحد شبيه، أو كنفسه، واقف مقابله أو أمامه (صورته)، وهو نفس المعنى الذي نستخدمه عندما ينظر الشخص خلقته في مرآة. ماذا يرى؟ انه يرى نفسه تمامًا. فكما قال الكتاب: "كَذلِكَ يَجِبُ عَلَى الرِّجَالِ أَنْ يُحِبُّوا نِسَاءَهُمْ كَأَجْسَادِهِمْ. مَنْ يُحِبُّ امْرَأَتَهُ يُحِبُّ نَفْسَهُ" (أف٥: ٢٨). وهذا يعني أن المرأة خُلقت لتكون الشبه الكامل المتطابق للرجل، لا تنقص ولا تتفوق عنه في شيء، ولكن في كل شيء مثله ومساوية له.

وكلمة (امْرَأَةً) في اللغة العربية هي من نفس جزر كلمة (امرئ) وفي الإنجليزية نقول (woman) من نفس جذر كلمة (man) رجل، وما تمت إضافته للكلمة هو الحرفان "Wo" وهما اختصار كلمة "womb" أي: (رحم)، أي أن المرأة هي رجل ذو رحم. وفي أصل النص في لغة العهد القديم، اللغة العبرية، امرأة هي (אִשָּׁה اشه) من نفس جذر كلمة (אִישׁ ايش) بمعنى رجل، أو زوج. وهكذا نرى أن الكتاب المقدس يوضح لنا كيف أن المرأة والرجل متساويان: "الرَّجُلَ لَيْسَ مِنْ دُونِ الْمَرْأَةِ، وَلاَ الْمَرْأَةُ مِنْ دُونِ الرَّجُلِ فِي الرَّبِّ" (١كو١١: ١١).

وكلمة "مُعِينًا" التي وصف بها الرب حواء هي (עֵזֶר عيزَر) بمعنى يساعد، يدعم، يُسعف، يشدد، ينهض، يقوي العزيمة.[٦] وقد جاءت الكلمة حوالي ٨٠ مرة في العهد القديم، وغالبًا ما تأتي مع (אֱלֹהִים إلوهيم) أو (יְהוָה يهوه) في الأسماء الشخصية مثل: (أليعازر אֱלִיעֶזֶר) (خر١٨: ٤) الرب عوني، و(عزرئيل עֶזְרִאֵל) (عز١٠: ٤١) الرب أعانني، و(عزاريا עֲזַרְיָה) (٢ مل١٤: ٢١) الرب عوني.

وهذا هو دور المرأة في حياة الرجل. ونفس الكلمة يقابلها في العهد الجديد (παράκλητος باراكليتوس) والتي هي اسم للروح

[٤] إيما غريب خوري. المرأة في الكتاب المقدس: من حواء إلى مريم، ٢٨.

[5] James Strong. Strong's Hebrew Dictionary, No.5048, p. 460.

[6] Davidson, Benjamin. The Analytical Hebrew and Chaldee Lexicon. p. DXCV (696).

القدس "الْمُعَزِّي، الرُّوحُ الْقُدُسُ" (يو١٤: ٢٦)، أي أن عمل المرأة مع الرجل هو عمل إلهي صريح. أعطى الرب المرأة للرجل لتكون بمثابة يد الرب المعزي والمعضد والداعم له. ويا للعجب أن الرب يشرِّف المرأة بأن يعطيها لقب (עֵזֶר عيزَر) قبل أن يطلق الرب على نفسه هذا اللقب (יְהוָה, עֶזְרָתָה يهوه عزراتاه) "الرَّبَّ مُعِينِي" (مز٩٤: ١٧).

وعندما قال الرب: "لَيْسَ جَيِّدًا أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ" نفهم من ذلك أن الله صنع الإنسان مخلوقًا اجتماعيًا، ليس حسنًا أن يكون وحده لأن وجوده منفردًا – دون رفيق الزوجية – ليس جيدًا. ومن هنا نجد أن العزوبية بشكل عام هي حالة غير جيدة سواء كان ذلك من جانب الرجل أو المرأة. والبعض في معارضة صريحة لهذا الإعلان الإلهي يعتقدون أن العزوبية هي حالة من التميز وحالة من الكمال، ولكن كلمة الله تقول عكس ذلك.

وعندما قرر الرب أن يأتي للرجل بمعين له يكون نظيره خلق له المرأة. فكيف تم ذلك؟ أوقع الرب الرجل في سبات عميق، أي في نوم عميق، وبعدها أخذ واحدًا من ضلوعه وملأ الضلع لحمًا ثم أخذ هذا الضلع وكيَّفه على شكل أنثى ونسجه بشكل متناسق رشيق وقدمه للرجل بعد أن استيقظ! وكأننا أمام عملية جراحية مكتملة متقنه تُجرى على يد الخالق العظيم (تك٢: ٢١، ٢٢).

عندما رأى آدم هذه المخلوق المختلفة عن سائر الكائنات والتي تشبهه صرخ قائلاً: "هذِهِ الآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي. هذِهِ تُدْعَى امْرَأَةً لأَنَّهَا مِنِ امْرِءٍ أُخِذَتْ" (تك٢: ٢٣). هذه الصرخة تعبّر عن فرحة آدم وتعني أن المرأة هي تمامًا نسخة مؤنثة له، مساوية له لا فرق بينهما من حيث المجد والكرامة.

وعندما أحضر الله الأجناس المختلفة من المخلوقات أمام آدم (تك٢: ١٩)، من المحتمل أنها مرت أمامه في أزواج. ولكن عندما أحضر الله المرأة أمام آدم (تك٢: ٢٢) نرى آدم يعلن حرفيًا أن هناك شيئًا آخر مختلفًا فيقول عن هذا المخلوق الذي يمر أمامه: "هذِهِ الآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي"، أي من ذات الصنف وذات النوع. لاحظ معي أنه عندما يعبّر الروح القدس عن علاقتنا الجديدة ككنيسة في المسيح يسوع فإنه يقول:" لأَنَّنَا أَعْضَاءُ جِسْمِهِ، مِنْ لَحْمِهِ وَمِنْ عِظَامِهِ" (أف٥: ٣٠)

لقد كانت كل المخلوقات التي مرت بالفعل أمامه غير مناسبة له وبالتالي قِيل: "وَأَمَّا (آدم) لِنَفْسِهِ فَلَمْ يَجِدْ مُعِينًا نَظِيرَهُ" (تك٢: ٢٠). ولكن عندما جاءت المرأة كمخلوق نظير له، بدأ يرى كل ما هو جذاب فيها تمامًا كمثله، وفي نفس الوقت رأى أنها كانت في شخصها وعقلها وفي كل أمر آخر مناسبة لتكون رفيقته.

ونلاحظ أن كل المخلوقات التي خلقها الله قبل خلق المرأة (אִשָּׁה أشه) كانت من تراب الأرض، فعندما خلق الله آدم خلقه من تراب الأرض، "وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ تُرَابًا مِنَ الأَرْضِ" (تك٢: ٧). وعندما خلق مملكة النباتات أخرجها من الأرض، "وَأَنْبَتَ الرَّبُّ الإِلَهُ مِنَ الأَرْضِ كُلَّ شَجَرَةٍ" (تك٢: ٩). وعندما خلق مملكة الحيوان جبلها أيضًا من الأرض، "وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلَهُ مِنَ الأَرْضِ كُلَّ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ" (تك٢: ١٩). أما في قصة خلق المرأة (אִשָּׁה أشه)، فإن (الأرض) لم تُذكر، ولكن الأرض التي أتت منها (אִשָּׁה أشه) كانت (הָ֣אָדָם هاآدم) أي آدم نفسه.

أتت المرأة بقصد الله كشريكة للرجل وموازية له. ولكن عندما حدث السقوط، إنهار هذا الانسجام الذي تحدثنا عنه وتغير كل شيء من الأساس. ونتيجة لهذا السقوط، فُقِدَ أيضًا الانسجام في داخل الثنائي الأول، إذ ابتدأ آدم يتهم امرأته ليُبرر نفسه، لا بل ذهب إلى أبعد من هذا وكأنه يرمي التهمة على الخالق نفسه، فيتوجه إليه قائلاً: "الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ" (تك٣: ١٢). ومنذ ذلك الحين، والبشرية كلها تتهم المرأة، وتظلمها، وتضطهد ها، وتُحمّلها كل خطايا العالم، وأصبح الرجل يسود على المرأة ويستعبدها.

وهكذا تاهت حواء في أرض قاسية قاحلة، تكابد العذابات والمشقات، وعرفت مرارة الحمل، وتخبطت في ألم المخاض، وابتدأت حياتها الشقية بمرارة اليأس والوحدة ومكافحة الطبيعة مع آدم في الأرض التي وصفها الخالق بأنها "شَوْكًا وَحَسَكًا تُنْبِتُ لَكَ." أما آدم، فلم يكن يصرخ كما في الجنة "هذِهِ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي"، فللأسف أخذ يُحمِّلها كل المآسي التي حصلت، وابتدأ النزاع والخلاف يتسعان بينهما، فأضحى بينهما عراك وحرب مستمران[٧]

نواحي تكريم المرأة

والآن نستعرض معًا نواحي تكريم المرأة في دائرة الخليقة والتي نراها في أجمل صورة من خلال النقاط التالية:

١- إنها تحمل صورة الله كالرجل تمامًا: وها هو النص الذي يسجله الوحي في هذا الشأن: "فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ." (تك١: ٢٧)، وهذه هي صورة الله الشبهية، أي التي ظهر بها الله في ابنه للعالم في تجسده، كما أن هذه الصورة هي الأصل أو النموذج أو المثال الذي صنع الله عليه كلاً من آدم وحواء على السواء. وقد تضمن الوحي في رسالة كورنثوس الأولى تأكيدًا لهذه الحقيقة بقوله إن الرجل "صُورَةَ اللهِ وَمَجْدَهُ. وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَهِيَ مَجْدُ الرَّجُلِ" (١ كو١١: ٧).

فالوحي هنا لا يقول إن المرأة هي صورة الرجل بل يصفها بأنها مجده فقط، وهذا لكونها هي أيضًا خُلقت على صورة الله كالرجل، وهي بهذا تكون متساوية باشتراكها معه في هذه الكرامة، وهو ما يعني أن من حقها أن تتقدم عن نفسها وبنفسها إلى شركة مباشرة مع الله، وهذا هو امتيازها الأول والعظيم.

سأعود إلى توضيح أكثر فيما بعد في الفصل الأخير عن مكانة المرأة في المسيحية، وهو يعلن بكل وضوح تساوى المرأة مع الرجل في حضرة الله!

٢- إنها توصف بأنها معين للرجل نظيره: وقد أُطلق عليها هذا الوصف بفم الله نفسه إذ قال: "لَيْسَ جَيِّدًا أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ، فَأَصْنَعَ لَهُ مُعِينًا نَظِيرَهُ" (تك٢: ١٨) ومعنى ذلك أنها خُلقت للرجل معينًا لتلازمه وتكون مصدر مسرة له وتتبادل معه الآراء والعواطف، وكان الله في هذا مهتمًا براحة آدم وتبديد وحشته. وكما ذكرنا آنفًا فإن كلمة "نظيره" تعني: شبيهه في الطبيعة والدرجة. ولهذا يجب أن يكون هناك تناسب بين كل زوجين في جميع النواحي، فلا يجوز أن يكون هناك فارق كبير في السن أو الشكل أو التعلم أو الطباع أو العادات، لأن عدم وجود المساواة في أية ناحية لا بد أن يجلب المتاعب بمرور الأيام. وعش الزوجية المشترك يجب أن يدار بديمقراطية يتساوى فيها الطرفان الرجل والمرأة — كل منهما بحسب مقدرته وإمكانياته. وهذا وحده كفيل برفع الزوجات من كادر الخادمات والشغالات، وجعلهن القوة الدافعة التي تبعث في قلوب الأزواج الآمال والأماني وتخلق فيهم العبقرية والنبوغ بل الذوق السليم والأدب الرفيع والارتقاء في آفاق السمو والعظمة، وهذا هو فن وغاية الحياة.[٨]

٣- إنها تكملة الرجل وملء كيانه: فمع أنها قد أتت بعد الرجل في الترتيب الزمني، وتعتمد عليه في الحياة الطبيعية، لكنها كانت تكملته اللازمة، ولهذا فقد أوجدها له الله. فمع أن الرجل جُبل أولاً فإن المرأة كانت فيه وبُنيت منه، وتم هذا في أثناء نومه العميق حتى لا يكون له دور في تكوينها يفتخر به عليها، كما أنها صُنعت بغير ألم أو آثار جروح حتى لا يكون له فضل أو تضحية تدفعه لاحتقارها والازدراء بها. وماذا يخبرنا النص بشأن ما حدث عندما خلق الرب المرأة؟ لننتبه ونلاحظ هنا أنه بعدما استفاق آدم من نومه ووجد زوجته أمامه قال: "هذِهِ الآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي. هذِهِ تُدْعَى امْرَأَةً لأَنَّهَا مِنِ امْرِءٍ أُخِذَتْ" (تك٢: ٢٣).

---

[٧] إيما غريب خوري. المرأة في الكتاب المقدس: من حواء إلى مريم، ٢٨.

[٨] صموئيل مشرقي. مكانة المرأة في المسيحية، ١٣.

أول سؤال ينبغي طرحه هنا هو ما إذا كان النص يقترح أن آدم قد ظن أن حواء قد بُنيت من عظامه. هنا نجد أن الأمر يفوق أكثر من مجرد ضلع، لأن آدم يعلن أن حواء ليست فقط "عظم من عظامه"، بل أيضًا "لحم من لحمه". ويقودنا هذا لنسأل عن معنى (تك٢: ٢١) "فَأَوْقَعَ الرَّبُّ الإِلهُ سُبَاتًا عَلَى آدَمَ فَنَامَ، فَأَخَذَ وَاحِدَةً مِنْ أَضْلاَعِهِ وَمَلأَ مَكَانَهَا لَحْمًا." هنا يقودنا تصريح آدم للتساؤل ما إذا كانت ترجمة (ضلع) ملائمة تمامًا لكلمة (צֵלָע tsela) في اللغة العبرية لغة النص الأصلية. جاءت هذه الكلمة في النص العبري حوالي أربعين مرة. وفي أغلب النصوص، تأتي بمعنى جانب أو غرفة جانبية. ففي سفر صموئيل الثاني، تشير الكلمة إلى الجانب الآخر من التل "وَإِذْ كَانَ دَاوُدُ وَرِجَالُهُ يَسِيرُونَ فِي الطَّرِيقِ، كَانَ شِمْعِي يَسِيرُ فِي جَانِبِ (צֵלָע) الْجَبَلِ مُقَابِلَهُ وَيَسُبُّ وَهُوَ سَائِرٌ وَيَرْشُقُ بِالْحِجَارَةِ مُقَابِلَهُ وَيَذْرِي التُّرَابَ" (٢صم١٦: ١٣)، وتُستخدم الكلمة أيضًا لتعبّر عن الشكل المعماري والغُرف الجانبية في الفقرات التي تتكلم عن الخيمة أو الهيكل. فعند صُنع تابوت العهد، يقول الكتاب: "وَتَسْبِكُ لَهُ أَرْبَعَ حَلَقَاتٍ مِنْ ذَهَبٍ، وَتَجْعَلُهَا عَلَى قَوَائِمِهِ الأَرْبَعِ. عَلَى جَانِبِهِ (צֵלָע) الْوَاحِدِ حَلْقَتَانِ، وَعَلَى جَانِبِهِ (צֵלָע) الثَّانِي حَلْقَتَانِ" (خر٢٥: ١٢)، ونفس الشيء عن المسكن (خر٢٦: ٢٠)، وعن المذبح (خر٢٧: ٧)، والغرف الجانبية للهيكل (١مل٦: ٥؛ حز٤١: ٥).[٩]

في الأغلب تشير الكلمة (צֵלָע tsela) هنا إلى أحد الجوانب عندما يدور الحديث عن أحد جانبين للبناء (حلقات على جانب التابوت، أو حجرات على جانبي الهيكل الشمالي والجنوبي... إلخ). فبناءً على تصريح آدم، مع البيانات المستخدمة حول الكلمة، ينبغي أن نستنتج أن الله أخذ أحد جانبي آدم، فالمعنى المرجح أنه شق آدم نصفين ومن أحد النصفين بنى المرأة.

تمت ترجمة الكلمة (צֵלָע tsela) في الترجمات المبكرة، ففي الترجوم – وهو ترجمة النص العبري للآرامية – استُخدمت الكلمة الأرامية (إل il) والتي تشير إما إلى ضلع أو جنب. وينطبق نفس الشيء على الكلمة التي اختارها مترجمو الترجمة السبعينية، فالكلمة اليونانية (πλευρών بليورون) يمكن أن تكون إما ضلعًا أو جنبًا. وفي الفولجاتا اللاتينية، استخدم جيروم الكلمة اللاتينية (costam كوستام)، والتي يمكن أن تكون إما ضلعًا أو جنبًا. وتوجد واحدة من أقدم المناقشات الموجودة في الأدب الرابيني في التعليقات الموجودة في مدراش ربه (Midrash Rabbah) الذي كتبه الرابي صموئيل بن نهماني (Rabbi Samuel ben Nahmani)، وهو واحد من الربيين الذين يُعتبرون ثاني أعظم جيل من المفسرين الرابيين من القرن الثالث والرابع الميلادي، حيث كان يقول باستخدام كلمة (جنب) بدلًا من (ضلع) عند ترجمة كلمة (צֵלָע tsela).[١٠]

٤- إنها هدية الله الكريمة للرجل: فبعد أن صنعها الخالق العظيم لتكون خِتام عمله في الجنة، أحضرها إلى آدم وقدمها له باعتباره أبوها وولي أمرها لكونه تعالى قد صنعها بيديه، وقام بتقديمها هدية كريمة من خالق كريم، وقد قام الرب بنفسه بعقد الزواج الأول الذي هو أقدس زواج تم عقده في العالم. وما أن تم العقد حتى التفت العريس (آدم) إلى عروسه (حواء) حتى ارتسمت على وجهه ابتسامة الرضا وقام بالترحيب بها قائلاً: "هذِهِ الآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي." ولا شك أن آدم قد أخذته نشوة وهو يتسلم من الله زوجته الحسناء، فقد رآها من جنس آخر غير جنسه، فأدرك أن الغريزة الجنسية بالنسبة لكل منهما هبة إلهية غير نجسة، بل واجبة الاحترام والتقديس لأنها من صنع الإله القدوس. ولهذا فقد أعطى الله فيما بعد تحذيرًا على فم إشعياء النبي الذي قال: "وَيْلٌ لِلَّذِي يَقُولُ لأَبِيهِ: مَاذَا تَلِدُ؟ وَلِلْمَرْأَةِ: مَاذَا تَلِدِينَ؟" (إش٤٥: ١٠)، قاصدًا بذلك منع الاعتراض على أحكامه تعالى من جهة مَنْ يولدون سواء أكانوا ذكورًا أم إناثًا، حيث إنه ليس من حق أحد – كائنًا من كان – أن يعترض على ما يخلقه الله تبارك اسمه.

أما كلمة الله فقد ساوت بين البنين والبنات: فهم مثل الغروس النامية، وهن كأعمدة الزوايا (مز١٤٤: ١٢)، أي الأعمدة التي

---

[٩] وليام آي فانجيميرين. القاموس الموسوعي للعهد القديم. المجلد الخامس، حرف צ، ٤٩٢.

[١٠] جون إتش. والتون. عالم آدم وحواء المفقود، ٧٥-٧٦.

عليها وبها يرتبط البناء، وحقًا بالفتاة يُربط البناء العائلي وبغيرها لا يُبنى بيت، فهي التي تربط العائلات ببعضها، وهذا يبين مقامها الرفيع كعامود الزاوية في الهيكل المقدس![١١]

إن الفتاة التي ستنضج وتصبح امرأة ثم زوجة فأم هي حقًا صانعة للمجتمع ككل وليست فقط فردًا فيه، فالمرأة هي صانعة المدينة وليست صانعة في المدينة. فقد يبدو أن للمرأة حقها في أن تعمل وتشقى كعاملة أو صانعة في أحد مصانع المدينة، إلا أن هذا يُعتبر انتقاصًا من حقها الأعظم باعتبارها صانعة المدينة ككل. فالطفل الذي تحبل به وترضعه – سواء كان ذكرًا أو أنثي – يُحسب الأساس الأول والأهم الذي تُبنى عليه المدينة كلها: "وَعَرَفَ قَايِينُ امْرَأَتَهُ فَحَبِلَتْ وَوَلَدَتْ حَنُوكَ. وَكَانَ يَبْنِي مَدِينَةً، فَدَعَا اسْمَ الْمَدِينَةِ كَاسْمِ ابْنِهِ حَنُوكَ" (تك٤: ١٧). لذلك إن اهتمت المرأة كيف تحمل وتلد وتُرضع ابنًا سويًا، فهي تبني وتصنع المدينة السوية، وهذا هو عملها الأعظم.[١٢]

٥- إنها أقرب للرجل من والديه: "لِذلِكَ يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونَانِ جَسَدًا وَاحِدًا." يجيب (تك٢: ٢٤) على سؤال: لماذا يترك الرجل أقرب علاقة بيولوجية (الآباء من نحو الأبناء) لكي يقيم علاقة مع امرأة من خارج العائلة بيولوجيًا (الزوجة)؟ الإجابة المقدمة هي أن الزواج يتخطى الناحية البيولوجية ليستعيد الوضع الأصلي، لأن الإنسانية تميل من الناحية الوجودية إلى الجنس الآخر، فالجانب الوجودي يتفوق على الجانب البيولوجي. وقد بيَّن الرب لآدم أن المرأة ليست مجرد شريك الزواج القائم بعملية التناسل، بل أن هويتها في أنها حليفة له، نصفه الآخر. يمكننا الآن أن نرى أن (تك٢: ٢٤) يقدم تصريحًا أكبر مما تصورنا. أن يصبح الزوج والزوجة جسدًا واحدًا ليس مجرد إشارة إلى العلاقة الجنسية. ربما تكون العلاقة الجنسية هي ما يوحدهما، لكن

التوحيد هو موضع التركيز هنا. عندما يصبح الرجل والمرأة جسدًا واحدًا، فهما يعودان إلى وضعهما الأصلي.[١٣]

ويعطي هذا أيضًا معنى معقولاً أكثر لسبب عدم وجود طلاق في المسيحية إلا لعلة الزنا "فَالَّذِي جَمَعَهُ اللهُ لاَ يُفَرِّقُهُ إِنْسَانٌ" (مت١٩: ٥-٦؛ مر١٠: ٩)، وللسبب في كون الزنا بالتحديد هو السبب الرئيسي لشريعة الطلاق في المسيحية (مت١٩: ٩؛ ٢٥: ٣٢). نلاحظ أن الرب في قوانين خليقته وضع حدودًا فاصلة في الطبيعة بين اليابسة والماء، فهو الذي "وَضَعَ لِلْبَحْرِ حَدَّهُ فَلاَ تَتَعَدَّى الْمِيَاهُ تُخْمَهُ، لَمَّا رَسَمَ أُسُسَ الأَرْضِ" (أم٨: ٢٩)، وأيضًا جعل حدودًا فاصلة بين العوالم المختلفة، فهو أعطى للملائكة أجسامًا (عب١: ١٤) تختلف عن أجسام البشر تختلف عن أجسام الأسماك تختلف عن أجسام النبات تختلف عن أجسام الطيور (١كو١٥: ٣٨-٤٠). كذلك وضع أيضًا حدودًا بحسب الشريعة داخل تشريعات الزواج بين البشر، إذ نهى عن الزواج بالأم وامرأة الأب والأخت، سواء أكانت بنت الأب أو بنت الأم، وبنت البنت أو الابن وبنت امرأة الأب وبأخت الأب وبأخت الأم وامرأة أخ الأب... إلخ (لا١٨: ٦-١٨)، ومَنْ يخالف قانون الرب ويتعدى هذه الحدود المرسومة منه يَلقى من الرب أشد عقوبة (خر٢٢: ٩؛ لا١٨: ٢٣؛ ٢٠: ١٥، ١٦؛ تث٢٧: ٢١). ومن أهم الأمور التي ينهي عنها الرب الزنا وخيانة العهد وخاصة مَنْ يتعدى على امرأة صاحبه، فالله شخصيًا يكون له بالمرصاد والانتقام (١تس٤: ٦). لماذا يتصدى الرب شخصيًا لمثل هذه الخطية؟ نعلم أنه في الزواج يلتصق الرجل بامرأته ويكون الاثنان جسدًا واحدًا (أف٥: ٣١)، فإذا تورط أحد الطرفين في علاقة زنا مع طرف ثالث يحدث انقسام لوحدة ذلك الجسد بدخول طرف ثالث غريب يقسم تلك الوحدة (١كو٦: ١٦)، وبالتالي يتعدى الحدود

---

[١١] صموئيل مشرقي. مكانة المرأة في المسيحية، ١٤-١٥.

[١٢] متى المسكين. المرأة حقوقها وواجباتها في الحياة الاجتماعية والدينية في الكنيسة الأولى، ١٤.

[١٣] جون إتش. والتون. عالم آدم وحواء المفقود، ٧٩.

التي رسمها الرب لطبيعة الاتحاد في الزواج، ولذلك يتم الطلاق والانفصال. نلاحظ أن في العهد القديم كان الرب يصف دائمًا شعبه عندما يرتد عن طريق الرب ويعبد آلهة أخرى بالمرأة الزانية.

لماذا؟ لأنه بالمثل دائمًا يشبّه الرب علاقته بشعبة بعلاقة الزوج بالزوجة، وهناك قانون إلهي بأن مَنْ التصق بالرب فهو روح واحد (١كو٦: ١٧)، لذلك عندما يعبدون آلهة غريبة فهم بذلك يدخلون روحًا غريبة تقسم وتفصل ذلك الإتحاد الذي كان بينهم وبين الرب، وهكذا يصف الرب شعبه في حال ارتدادهم عنه بالزوجة الزانية.

لنا هنا أيضًا ملاحظة تفسيرية على نص (تك٢: ٢٤). لا يبدو أنّ الترجمات العربية تختلف في ترجمة هذه الآية. فعلى سبيل المثال، جاء في التّرجمة العربيّة المشتركة: "يترُكُ الرَّجُلُ أباهُ وأُمَّهُ ويتَّحِدُ بامرأتِهِ"، وفي ترجمة الإنجيل الشريف: "يترُكُ الرَّجُلُ أباهُ وأُمَّهُ ويَقتَرِنُ بامرأتِهِ."

أعتقد أننا هنا أمام إشكاليتن لمحاولة فهم معنى هذه الآية فهمًا صحيحًا. يتعلق الاشكال الأول بفهم معنى "التّرك"، ويتعلق الاشكال الثاني بفهم غاية وجود كلمة "لذلك" في بداية الآية وارتباطها بسياقها، أي ما سبقها من كلمات.

"الترك" في اللغة العربية يفيد معنى الانفصال أو الإهمال أو الانصراف، فهل يُعقل أن الله الذي أوصى بالوالدين كما في الوصية الأساسية "أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ" أن يأمر الرجل المتزوج بترك أبيه وأمه؟ يرى القديس أوغسطينوس في هذه الآية ارتباطًا مسيانيًا فيقول: "إن كان المسيح يلتصق بكنيسته ليكون الاثنان جسدًا واحدًا، فبأي طريقة يترك أباه وأمه؟ لقد ترك أباه بمعني أنه 'إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلًا لله، لكنه أخلي نفسه آخذًا صورة عبد' (في٢: ٦)، بهذا المعني ترك أباه ولا نقول بأنه نسيه أو انفصل عنه وإنما بظهوره في شكل البشر... ولكن كيف ترك أمه؟ بتركه مجمع اليهود الذي وُلِدَ منه حسب الجسد، ليلتصق بالكنيسة التي جمعها من كل الأمم." ولكن لا يوضح لنا القديس أوغسطينوس الناحية العملية لهذه الآية سوى بقوله بأن الترك لا يعني النسيان أو الانفصال. أما من ناحية النصائح للحياة العملية، فيبدو أن الكثير من المشيرين يحاولون اجتناب مفهوم "الترك" بمعناه الواضح الذي أشرتُ إليه أعلاه ليصلوا إلى نتيجة تحرص على تحقيق "تسوية" ما بين متطلبات الاهتمام بالوالدين وبين متطلبات الحياة الزّوجيّة. إليك هذان المثالان:

إذا فشل أحد الزوجين في الترك والإلتصاق ينتج عن ذلك وجود مشاكل في الزواج. فإذا رفض أحد الزوجين أن يترك والديه بالفعل، انتج عن ذلك الخلافات والتوتر. ولكن ترك الوالدين لا يعني تجاهلهما أو عدم قضاء وقت معهما، بل يعني إدراك أن الزواج خلق عائلة جديدة وأن هذه العائلة الجديدة يجب أن اكون لها الأولوية على العائلة القديمة. وإذا أهمل الزوجان الإلتصاق أحدهما بالآخر، تكون النتيجة غياب الحميمية والوحدة بينهما.

إن هناك تركًا أو انفصالًا عن الأبوين، وهذا الانفصال هو في الأساس في حيز العاطفة والفكر، وقد يكون أحيانًا انفصالاً جغرافيًا أو جسديًا. غير أن هذا الترك أو الانفصال لا يعني نسيان الأهل أو عدم إكرامهم ومساندتهم بل هو تحرر واستقلال في المسؤولية والإدارة. فالعروسان وحدهما هما المسؤولان عن إدارة بيتهما الجديد، ومن الخطأ الكبير أن يتدخل الوالدان في شؤونهما، فالانفصال ضروري ولو بدا صعبًا ومصحوبًا بالدموع في يوم العرس.

إنني أرى بعض الحكمة في الكثير مما ورد في الاقتباسين أعلاه، ولكن هل حقًا يعكسان تفسيرًا صحيحًا لمعنى النص في كتاب التّكوين؟ أم أنهما يمثلان محاولة ذكية للجمع بين متضادين، بين "الترك" و"الالتصاق"؟ إن جذر الفعل "يترك" في أصله العبري هو (עָזַב) عزاب، وتمت ترجمته بكلمة (يترك)، ولكن هل هذه هي الترجمة الوحيدة المقبولة؟ لقد ورد هذا الفعل في مواضع عديدة

من العهد القديم كما في (خر٢٣: ٥؛ نح٣: ٨؛ ٤: ٢) وقد تمت ترجمته بطرق مختلفة. ففي الترجمة العربية المشتركة لما ورد في (خروج ٢٣: ٥)، نقرأ: "وإذا رأيتَ حمارَ مَنْ يُبغِضُكَ رازِحا تحتَ حِمْلِهِ، **فلا تمتَنِعْ عَن مُساعَدَتِهِ** ورَفْعِ الحِمْلِ معَهُ." وبحسب ترجمة الفانديك: "إِذَا رَأَيْتَ حِمَارَ مُبْغِضِكَ وَاقِعًا تَحْتَ حِمْلِهِ **وَعَدَلْتَ عَنْ حَلِّهِ**، فَلاَ بُدَّ أَنْ تَحُلَّ مَعَهُ." وبحسب الترجمة اليسوعية: "وإذا رأيت حمار مبغضك ساقطا تحت حمله، **فكف عن تجنبه**، بل أنهضه معه." فالكلمة "**مساعدته**" هي من الجذر ذاته (עָזַב عزاب)، أما في نحميا فقد تمت ترجمته إلى (رمّم): "وَبِجَانِبِهِمَا **رَمَّمَ** عُزِّيئِيلُ بْنُ حَرْهَايَا مِنَ الصَّيَّاغِينَ. وَبِجَانِبِهِ **رَمَّمَ** حَنَنْيَا مِنَ الْعَطَّارِينَ. وَتَرَكُوا أُورُشَلِيمَ إِلَى السُّورِ الْعَرِيضِ."

إذن فالفعل "يترك" من الجذر (עָזַב عزاب) يحمل معنى المساعدة، الدعم، التقوية، التشديد... وبالتالي ليس هناك ما يمنع من ترجمة الآية في (تكوين ٢: ٢٤) هكذا: "لِذَلِكَ **يدعم** الرَّجُلُ اباهُ وَامَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَاتِهِ وَيَكُونَانِ جَسَدًا وَاحِدًا"، بمعنى أنه ينبغي على الرجل القيام بالأمرين معًا: الاهتمام بوالديه والالتصاق بزوجته، فلا تعارض بين الأمرين، ووجود الزوجة لا يعني "التخلي" أو "الانفصال" أو "الترك" للوالدين. وما يبرر هذه الترجمة وهذا التفسير عدة أمور.

أوّلاً، في القرن العشرين، تم اكتشاف كتابات في أوغاريت وغيرها تفيد ورود الجذر (עָזַב عزاب) بمعنى "المساعدة" أو "الدعم"، الأمر الذي لم تكن معرفته متاحة للمترجمين والمفسرين قبل القرن العشرين.

ثانيًا، في مجتمعات الشرق الأدنى القديم وفي زمن كتابة سفر التكوين، لم يكن يخطر ببال أي رجل متزوج "ترك" والديه وأهله وعشيرته، ولو فعل ذلك لاعتُبر الأمر مرفوضًا بكل مقاييس ذلك العصر. فضلاً عن ذلك، عندما يقصد أحد كُتّاب العهد القديم الإشارة إلى "الترك" الجغرافي يتم استخدام تعبير "بيت أبيه" أو "بيت أبيها"، وليس "أبيه وأمه".

ختامًا، لا بد من الإشارة إلى غاية وجود كلمة "**لذلك**" في بداية هذه الآية. ترد هذه الآية في نهاية هذا المقطع: "وَقَالَ الرَّبُّ الإِلَهُ: "لَيْسَ جَيِّدًا أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ فَأَصْنَعَ لَهُ مُعِينًا نَظِيرَهُ". وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلَهُ مِنَ الأَرْضِ كُلَّ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ وَكُلَّ طُيُورِ السَّمَاءِ فَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ لِيَرَى مَاذَا يَدْعُوهَا وَكُلُّ مَا دَعَا بِهِ آدَمُ ذَاتَ نَفْسٍ حَيَّةٍ فَهُوَ اسْمُهَا. فَدَعَا آدَمُ بِأَسْمَاءٍ جَمِيعَ الْبَهَائِمِ وَطُيُورَ السَّمَاءِ وَجَمِيعَ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ. وَأَمَّا لِنَفْسِهِ فَلَمْ يَجِدْ مُعِينًا نَظِيرَهُ. أَوْقَعَ الرَّبُّ الإِلَهُ سُبَاتًا عَلَى آدَمَ فَنَامَ فَأَخَذَ وَاحِدَةً مِنْ أَضْلاَعِهِ وَمَلأَ مَكَانَهَا لَحْمًا. وَبَنَى الرَّبُّ الإِلَهُ الضِّلْعَ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ آدَمَ امْرَأَةً وَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ. فَقَالَ آدَمُ: "هَذِهِ الآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي. هَذِهِ تُدْعَى امْرَأَةً لأَنَّهَا مِنِ امْرِءٍ أُخِذَتْ". **لِذَلِكَ** يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونَانِ جَسَدًا وَاحِدًا" (تك ٢: ١٨-٢٤).

إن ورود هذه الآية مرتبط بما سبقها، فبعد أن دعا آدم الحيوانات والطيور بأسمائها، تمت معالجة مشكلة "وحدة" آدم وعزلته بوجود حواء، كأن كاتب سفر التّكوين يقول لآدم (ولنا) على لسان الرب: "بينما الحيوانات والطيور لا تراعي أهلها ولا تهتم بها بعد مرحلة قصيرة من ولادتها ونموها، الآن وبعد أن اكتملت حياتك بوجود حواء احرص على ألا تحذو حذو الطيور والحيوانات، واعمل جاهدًا على الاهتمام بوالديك والعناية بامرأتك في آنٍ معًا." لقد أوصت الشريعة بأنه على الآباء تأمين زوجات لأبنائهم (تك٢٨: ٢؛ ٣٨: ٢؛ قض١٤: ٢-٣) وأنه يتوجب على كل ابن أيضًا الاهتمام بوالديه (خر٢٠: ١٢؛ تث٥: ١٦) والاهتمام بزوجته في الوقت ذاته وإعطاء كل ذي حق حقه تمامًا.[١٤]

[١٤] رياض قسيس. اترك أباك وأمك واتبع زوجتك! هل يُعقل؟ متاح على http://www.comeandsee.com

وضع المرأة في العهد القديم حتى زمن المسيح

نستطيع أن نتخيل حياة المرأة في العهد القديم هكذا:

كانت الفتاة في إسرائيل منذ صغرها تتعلم من أمها كل أمور تدبير المنزل. كانت منذ نعومة أظفارها تهتم بجمع قطع الحطب من البرية لإشعال الموقدة من أجل الطبخ والتدفئة، وتكنس يوميًا البيت والساحة المحيطة به. صباحًا ومساءً تصطحب أمها إلى البئر أو إلى نبع ماء مجاور لتملأ الجرار، وهناك تتجمع النساء ويدور الحديث بينهن ويثرثرن ويتبادلن الأحاديث. على المرأة أن تؤمّن الخبز لعائلتها كل يوم. قبل كل شيء، كان عليها أن تطحن القمح أو الشعير، وكانت تلك العملية مرهقة، إذ يجب أن تطحن الحبوب بين حجري رحى ضخمين. وبعدها يُعجن الطحين بالماء والملح والخميرة بقوة الساعدين، ثم تُقسَّم العجينة إلى أرغفة وتُخبز على نار الموقد.

تتعلم البنت أيضًا من أمها عملية غزل الصوف ونسج الأقمشة وخياطة الثياب العادية. وإذا ما وُجِدَ أخوة أو أخوات أصغر منها سنًا، كان عليها أن تهتم بهم وترعاهم.

وهكذا كانت تمضي الطفولة لا وقت لديها للعب أو اللهو مع الرفيقات من سنها كسائر الفتيات. هذا بالنسبة لعامة الشعب، أما إذا كانت العائلة ثرية، فوضع الفتاة يختلف، إذ يتولى الخدم تنفيذ كل هذه الأعمال المتعبة، وكان الخدم يُعتبرون خاصة رب المنزل أي أنه يملكهم. على مر الفصول، كانت الأعياد مناسبات للمرأة للرقص والابتهاج. الشائع في تلك الأيام والمتداول على الألسنة هو أن النساء كن يرقصن على وقع الطبلة من عمر ست سنوات حتى الستين! وبحسب (سفر التثنية ١٦)، كانت أهم الأعياد اليهودية هي الفصح والفطير، وعيد الأسابيع، وعيد الأكواخ أو المظال في الصيف لجمع غلة البيدر. أما في (سفر العدد ٢٩)، فقد ورد عيد الهتاف ويوم الغفران وأضيفت أعياد أخرى بعد العودة من السبي أهمها يوم عيد "الفوريم". وعلى مدار السنة، كل يوم سبت هو يوم عيد وراحة، ولذلك كانت المرأة تنهمك منذ يوم الجمعة في العمل لتحضير وجبة المساء وطعام الغذاء لليوم التالي، لأن يوم السبت لا تُضرم فيه النار. عند مساء الجمعة، كانت وظيفة الأم تكمن في إشعال السراج على المائدة ثم تجلس العائلة كلها للطعام، فيبارك رب المنزل الخبز وكأس الخمر قبل البدء بالأكل. ونهار السبت، يذهب الأب مع أولاده الذكور إلى المجمع، أما المرأة وبناتها فلسن ملزمات بالذهاب إلى المجمع. هناك ينشد الرجال المزامير ويقرأون الكتب لأنهم تعلموا القراءة في مدارس المجمع. معظم الفتيات كن أميات، أما اللواتي كن يحسن القراءة فكن نادرات وقد نجدهن في الأوساط الثرية.

فيما يختص بالشريعة، فالمرأة كانت تجهل توصياتها ولا تعرف منها إلا الفقرات المتعلقة بأمور النساء. وبالتالي كانت الفتاة تتعلم من أمها الوصايا المتعلقة بأمور المأكولات وأصولها أي ما يحل أكله وما يحرم أكله، وأنواع الأطعمة التي لا تختلط مع الأطعمة الأخرى. قبل كل شيء، كانت المرأة تتعلم القوانين التي تفرض الطهارة الشرعية عند النساء؛ مثلاً، طالما المرأة تنزف لا يحق لها أن تدخل إلى المجمع ولا إلى الهيكل. كل الحياة الجنسية في اليهودية كانت تندرج في إطار شرائع تطهيرية ضيقة ينبغي أن تحفظها المرأة بكل تأنٍ وتطبقها بحذافيرها، وتُعلِّمها لبناتها بدقة في المستقبل. عندما تبلغ الفتاة سن الثانية عشرة، يصبح هاجس والدها التفتيش عن زوج لها، والأفضلية أن يكون ذلك الزوج ابن العم أو أحد أفراد العائلة أو العشيرة، وذلك تسهيلاً لدخول الفتاة إلى عائلة زوجها. الزواج بالغريب كان محرَّمًا. عندما يختار الوالد الزوج، يُعرض الأمر على الفتاة ويبدو أنها لم تكن تُرغم على الزواج إجمالاً بل كان ينبغي لها أن توافق على اختيار والدها وإلا لا يتم الزواج. عندما توافق الفتاة على الخطبة، تحتفل العائلتان، أهل الفتاة وأهل الخطيب، بالخطوبة. وكانت الخطوبة عند اليهود تعهدًا صريحًا وارتباطًا حقيقيًا مع عقد زواج خطي يرتبط به العروسان. وعندئذٍ يدفع الخطيب مال المهر لأهل العروس، وهذا المهر هو في الواقع كتعويض عن الأعمال التي لن تقوم بها الفتاة عند أهلها بعد زواجها،

أي سيخسر الأهل يدًا عاملة كانت تساعدهم ولذلك اقتضى الأمر التعويض! كان الخطيب عادةً يقدم الهدايا للخطيبة وهي عبارة عن ثياب العيد والحلي والعطور، ويخص الخطيبة بمبلغ معين من المال تحتفظ به بعناية قصوى.

أما المساكنة بين العروسين فتأتي بعد سنة من الخطوبة. ويوم الزفاف كانت العروس تبلغ الخامسة عشرة من العمر والشاب ما بين الثامنة عشرة والعشرين. عندما تنتقل العروس إلى بيت زوجها يصحبها موكب مؤلَّف من الأقارب والأصحاب والجيران ويحتفل الجميع بالعرس. بعد الزواج. أول هم لدى المرأة وزوجها والعائلة هو الإنجاب، فالمرأة تتحمل العار والإهانة إذا لم تنجب. العقر يُنسب إليها دائمًا وهي المسؤولة عنه. العُقر عيب عظيم يولِّد الألم الشديد عند المرأة وذويها. وإذا مضت عشر سنوات على زواج المرأة ولم تلد كان يحق لزوجها أن يطلقها ويتزوج بغيرها.

إذا حملت المرأة وولدت صبيًا، ترتفع أسهمها وتكتسب المركز المرموق لدى عائلتها الجديدة، أما إذا كانت المولودة أنثى فالنظرة إليها تختلف ويخيب أمل الزوج ويغضب أحيانًا. المرأة التي تلد يجب أن تُطهَّر حسب ناموس موسى؛ بالنسبة للصبي، تُطهِّر بعد أربعين يومًا وتذهب إلى الهيكل لتقدم ابنها هناك، أما والدة البنت فعليها أن تنتظر ثمانين يومًا لتطهيرها، وفي الحالتين تقدم الهدايا للهيكل. نعلم أن مريم ويوسف قدما للهيكل هدية الفقراء، أي فرخي حمام. أهمية المرأة وفخرها يرتكزان على عدد أولادها الذكور، وكل هذا يؤكد تفوق قيمة الرجل على المرأة وانصياع المرأة للرجل في اليهودية، أما إذا تثبت أقدام المرأة وأنجبت الذكور، يرتفع شأنها وتقوى شخصيتها وتفرض الاحترام على مَنْ حولها. وفي تلك الأيام، كانت الوفيات شائعة عند الأطفال والسبب قلة العناية الصحية وأمراض الطفولة المتفشية. وقد كانت الأمومة المتتالية والمتعددة ترهق المرأة وتُتعِب جسدها.

أضف إلى ذلك الأعمال الشاقة اليومية المضنية التي كانت تؤثر على النساء وتجعل معظمهن يقتربن من الشيخوخة مبكرًا. ويجب الإشارة إلى أن الكثير من النساء كن يلقين حتفهن أثناء فترة النفاس بسبب صعوبة الولادات أحيانًا، وأيضًا بسبب قلة النظافة، فالمجتمع كان يجهل أصول التعقيم أثناء الولادة والأشهر الأولى التي تليها.

تعدد الزوجات كان واردًا ولكن في الواقع كان هذا الأمر يفترض زوجًا ثريًا لكي يُعيل أكثر من زوجة. المرأة المطلقة تحتفظ بمهر خطوبتها بعد الطلاق لتتمكن من أن تعيش به لفترة من الزمن. عندما يتم الطلاق تنال المرأة شهادة طلاق تحررها من زوجها، ولكن كان من الصعب جدًا أن تتزوج ثانيةً بسبب عقرها. وعندئذٍ كانت تعود إلى منزل أهلها إذ لا يجوز لها أن تعيش وحيدة. أما إذا رفض أهلها أن يستقبلوها، فتتسم حياتها بالشقاء والبؤس. كان رجال الشريعة يختلفون في الأسباب التي تدفع إلى الطلاق: فالبعض منهم كانوا يقولون بأن السبب الجوهري الذي يؤدي إلى الطلاق يتضمن الزنا والعقر، والبعض الآخر كانوا يسمحون بالطلاق لأسباب تافهة، مثلاً إذا كانت المرأة كسولة أو قبيحة أو سيئة الأخلاق.... الخ. ولكن في الواقع نادرًا ما كان الرجل يتذرع بتلك الأمور ليتخلى عن زوجته، لأن المجتمع اليهودي كان محافظًا ويحمي العائلة ويسهر على استقرارها مع حفظ الثوابت التي تُعطي الأولوية للرجل.

وبالنسبة لوضع الأرملة، فقد كان مأساويًا في المجتمع اليهودي. فالمرأة التي تفقد زوجها بدون أن يترك لها مالاً لتتمكن من أن تعيش مع أولادها كانت تعاني الأمرين، ولذلك كانت وصايا العهد القديم تهتم دائمًا بحقوق اليتيم والأرملة. كانت المرأة عادةً في الأوساط الشعبية تلازم منزلها ولا تعمل خارجه. أما إذا عملت أحيانًا أشغالاً بدوية أو حرفية واستطاعت أن تربح القليل من المال، فالذي يتولى تدبير الأمور المالية التي تجنيها هو زوجها. أما إذا استطاعت أن تدخر شيئا فهي تحاول أن تحتفظ به بسرية وعناية فائقة لتضمن شيئًا من استقلاليتها. إجمالاً، كانت المرأة في المجتمع اليهودي تُعتبر قاصرة وتابعة للرجل في كل مراحل حياتها. فبعد أبيها، تتبع زوجها وبعد ترملها تخضع لوصي من عائلة زوجها وأحيانًا يكون ابنها البكر وصيًا عليها.

كان وضع المرأة يختلف بين المدينة والريف. في المدن، كانت العادات والأعراف متشددة صارمة، أما في الأرياف فالمرأة أكثر تحررًا بتحركاتها، فهي تهتم بالحيوانات وحراستها ويشترك معها أولادها بهذا الأمر، وتقوم بأعمال الزراعة مع رجلها وتتولى بيع الحبوب والخضروات والفواكه التي تحصدها. أما في المدينة، فلا تخرج المرأة المتزوجة من بيتها إلا عند الضرورة أو لزيارة أهلها، وعندما تخرج من البيت عليها أن تحجب رأسها وحتى وجهها. كانت التقاليد تمنع الرجل الذي تصادفه من أن ينظر إليها وكان من غير المسموح أن يكلمها أو أن يتمعن في النظر إليها، ولذلك كانت النساء يصرفن أوقات الفراغ مع بعضهن البعض، أي مع الجارات والقريبات بعيدًا عن معشر الرجل. من الناحية القانونية، كانت شهادة المرأة باطلة في المحاكم وحقوقها مهضومة وميراثها أدنى من ميراث الذكور، أما إذا لم يكن هناك ذكور فالمرأة ترث، "أَيُّمَا رَجُلٍ مَاتَ وَلَيْسَ لَهُ ابْنٌ، تَنْقُلُونَ مُلْكَهُ إِلَى ابْنَتِهِ" (عد٢٧: ٢).

أما صورة المرأة في العهد القديم فكانت قاتمة لأنها من توقيع الرجال الذين لا ينصفوها بل يظلمونها. كان حكم الرجل على النساء لا يخلو من القساوة والازدراء.

ولكن بعض النساء تميزن وكسرن هذا القالب المتشدد وتحلت بعضهن بالإيمان والقداسة وقمن بدور بطولي. فهناك دبورة القاضية والنبية (قض ٤-٥)، وأبيجايل المرأة الجميلة الذكية (١صم٢٥: ١-٤٢)، والفتاة المسبية خادمة امرأة نعمان (٢مل٥: ١-١٩)، وأستير الملكة التي أنقذت شعبها، وراعوث المرأة الوفية لحماتها، وغيرهن الكثيرات من نساء العهد القديم. ورغم كل هذا الظلم، نلاحظ أن الولد كان ينتمي إلى أمه وعائلتها، وحقوق الإرث تُعيَّن بالنسبة للنسب إلى الأم، واسم المولود يعود إلى أمه عادةً، إلا أن السلطة كانت دائما للأب حتى أنها كانت ممتدة النفاذ إلى أبنائه وزوجاتهم إذا عاشوا تحت سقفه. باختصار، كانت المرأة لا تتحرر من الرجل إلا بصعوبة وكانت حياتها تتصف بجهاد متواصل لأن سلطة زوجها سرعان ما تتحول إلى طغيان في أغلب الأحوال، إلا أن الأمر لا يخلو من رجال أبرار أمثال بوعز ويوسف خطيب مريم العذراء.[١٥]

[١٥] إيما غريب خوري. المرأة في الكتاب المقدس: من حواء إلى مريم، ٣٦-٤١.

الفصل الثالث

المرأة في العهد الجديد

المرأة في الأناجيل

في العهد الجديد مجموعة من النساء تنبعث من بين السطور، وتقوم بأدوارها بكل فخر ثم تعود إليها تاركة العِبر والدروس في الإيمان والمحبة. النساء كن يتبعن يسوع، "مَرْيَمُ الَّتِي تُدْعَى الْمَجْدَلِيَّةَ الَّتِي خَرَجَ مِنْهَا سَبْعَةُ شَيَاطِينَ، وَيُونَّا امْرَأَةُ خُوزِي وَكِيلِ هِيرُودُسَ، وَسُوسَنَّةُ، وَأُخَرُ كَثِيرَاتٌ كُنَّ يَخْدِمْنَهُ مِنْ أَمْوَالِهِنَّ" (لو٨: ٢-٣). النساء بقين وفيات حتى الصليب، بينما التلاميذ فروا هاربين. نشاهدهن يشترين الأطياب والحنوط لتكفين جسد السيد ليتممن عمل يوسف الرامي الذي لم يستطع أن يُنجز عملية التكفين إذ فاجأه يوم السبت، فأسرعت النساء مبكرات في أول الفجر لأن الحزن والمحبة لا يعرفان النوم.

كانت هناك شوكة واحدة كبيرة في هذه الباقة الجميلة وهي هيروديا امرأة فيليبس أخي هيرودس والتي تشبه الحية الرقطاء والتي أصبح اسمها مرادفًا لفن الإغراء وللإجرام المتعمد والفحشاء، تلك التي طلبت رأس يوحنا بواسطة رقص ابنتها سالومي (مت١٤: ١-١٢)، لأن يوحنا المعمدان كان يوبخ هيرودس قائلاً له: "لاَ يَحِلُّ أَنْ تَكُونَ لَكَ امْرَأَةُ أَخِيكَ." فالمرأة حاضرة بقوة في الأناجيل من أليصابات أم يوحنا المعمدان التي استقبلت مريم العذراء هاتفة: "فَمِنْ أَيْنَ لِي هذَا أَنْ تَأْتِيَ أُمُّ رَبِّي إِلَيَّ؟" (لو١: ٤٣)، إلى حنة النبيه تلك الأرملة التي استقبلت يسوع في الهيكل مع سمعان (لو٢: ٣٦-٣٨) وكانت ملازمة للهيكل عابدة بأصوام وطلبات ليل نهار (١تي٥: ٥) وكأنها عاشت الله وماتت عن العالم. ألم تكن تلك المرأة التي صرخت إلى يسوع: "طُوبَى لِلْبَطْنِ الَّذِي حَمَلَكَ وَالثَّدْيَيْنِ اللَّذَيْنِ رَضِعْتَهُمَا" هي أول مَنْ طوَّب العذراء مريم؟ وقد صحح يسوع لها قائلاً: "بَلْ طُوبَى لِلَّذِينَ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللهِ وَيَحْفَظُونَهُ" (لو ١١: ٢٧-٢٨). وقد كانت النساء عند القبر وشهدن للرسل عن القبر الفارغ.

نظرة يسوع إلى المرأة

لقد جاء المسيح متحديًا إرثًا من التعاليم وتقاليد الناس التي حطت من شأن ومكانة المرأة التي خلقها الله مثل الرجل على صورته ومثاله، فأخذ على عاتقه أن يعيد للمرأة قيمتها ومكانتها بحسب التعاليم الإلهية، فرد لها كرامتها كإنسان خلقها الله على صورته ودفعها إلى الحياة والمشاركة في المجتمع. شجعها المسيح على العبادة وسمح لها بالخدمة واعتمد عليها في مهام عديدة وحررها من تسلط الرجل وساوى بينها وبين الرجل في القيمة الروحية. وبذلك رفع السيد المسيح من قدر المرأة، أي أنه أعادها إلى قصد الله في الخليقة؛ أعاد لها مكانتها المساوية للرجل ولهذا فإن دور المسيح كان ثورة على الظلم الاجتماعي الذي دخل الخليقة منذ السقوط حتى مجيئه الأرض.[1]

المرأة المنسحقة تحت وطأة الذكورية المتأججة والظالمة أحيانًا كثيرة وجدت في طيبة المسيح وعدله جاذبية جعلتها تتبعه في تنقلاته

[1] حنا ودينا كتناشو. أطلقوني – دور ومكانة المرأة في المسيحية، ٢٩.

حتى أن البعض منهن أتين من الجليل قاطعات المسافات من أجل السير وراءه، وهذا أمر استثنائي في العالم الفلسطيني في تلك الأيام. هؤلاء النسوة اللواتي تبعن يسوع كن ينتمين إلى طبقات مختلفة، فإلى جانب المريضات اللواتي شُفين كانت هناك نسوة من الطبقات الثرية (لو٨: ٢-٣).

كذلك فإن يسوع يعرف طبيعة المرأة خير معرفة ولا سيما فيما يختص بأمومتها. ففي إنجيل يوحنا، يتكلم يسوع عن ألم المخاض وقوته عند المرأة، وهو ألم ينتهي بالولادة فيتحول وجعها إلى فرح وتنساه فجأة عندما تنظر إلى المولود، "اَلْمَرْأَةُ وَهِيَ تَلِدُ تَحْزَنُ لأَنَّ سَاعَتَهَا قَدْ جَاءَتْ، وَلكِنْ مَتَى وَلَدَتِ الطِّفْلَ لاَ تَعُودُ تَذْكُرُ الشِّدَّةَ لِسَبَبِ الْفَرَحِ، لأَنَّهُ قَدْ وُلِدَ إِنْسَانٌ فِي الْعَالَمِ" (يو١٦: ٢١). كان السيد ينصت إلى المرأة ويتحنن عليها يتفهم أمومتها: ألم يقم ابن أرملة نايين من الموت حتى بدون أن تطلب منه (لو٧: ١١-١٧)؟ ويقول الإنجيل إن يسوع أعاد الولد إلى أمه.

كانت حالة الأرامل دائما تلفت نظر يسوع، فقد ذكر مثلاً عن ضرورة الصلاة بلجاجة مستخدمًا حالة امرأة أرملة تقصد قاضيًا قاسي القلب (لو١٨: ٢-٨)، ولكنها كانت تتوسل إليه لكي ينصفها من خصمها. وبعد إلحاحها عدة مرات، استجاب لها القاضي وأنصفها. كان يسوع يعلم كم كانت مأساوية حالة الأرامل في أيامه، فالأرملة كانت تصبح وحيدة وسط بيئة قاسية وظالمة، وكان عليها أن تربي أولادها وكان وضعها المادي مترديًا في أغلب الأحيان. ألم يخالف السيد شريعة السبت ليشفي المرأة المنحنية بوضع يديه عليها وقال إنها ابنة إبراهيم وقد ربطها الشيطان منذ ثماني عشرة سنة (لو١٣: ١١-١٦)؟ ألم يعلن أن عطاء الأرملة الفقيرة التي قدمت فلسين هو أهم وأسخى من عطاء الأغنياء لأن هؤلاء من فضلتهم ألقوا في قرابين الله وأما هذه فمن إعوازها ألقت كل المعيشة التي لها (مر١٢: ٤١-٤٤؛ لو٢١: ١-٥)، مثبتًا أن قيمة الإنسان في نظر الله ليست فيما يملك بل فيما يقدم وفي كيفية التقدمة؟! وهكذا كان السيد يفعل دائمًا؛ ينظر إلى المساكين ويبرزهم أمام المجتمع المرائي ليلقنه درسًا.

ألم يغفر للزانية خطاياها بكل رحمة شرط أن تتوب في العمق؟ أجل كان يسوع يتحسس حاجات المرأة ويعرف تفاصيل أعمالها المنزلية كما في مثل الدرهم المفقود (لو ١٥: ٨-١٠). كان يريد مخاطبتها، ولا يتردد في الدفاع عنها، ولا يحكم عليها، بل أرادها دائما أن تتوب حقًا، وأن تصحح مسارها فتغير سلوكها. لم يحكم على الزانيات اللواتي كن يُرجمن بحكم قانون صارم بل كان يحاول أن يتفهم وضعهن بعكس فئة الفريسيين قساة القلوب الذين كانوا ينظرون إلى خطية الآخرين ولا يرون أخطاءهم الذاتية (مت٢٣: ١٣-١٥). أما يسوع الإنسان الكامل المنزه عن الخطيئة فكان الديان الرحوم الوديع المتواضع الذي يسامح الخطاة وينعت المرائين بأولاد الأفاعي ويقول لهم: "إِنَّ الْعَشَّارِينَ وَالزَّوَانِيَ يَسْبِقُونَكُمْ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ" (مت٢١: ٣١).

ننتقل إلى تلك المرأة النازفة الدم (لو٨: ٤٣-٤٨) التي لمست يسوع فوقف فجأة وقال: "مَنِ الَّذِي لَمَسَنِي؟" والمعلوم أن الجمع كان غفيرًا وكان يزحمه من كل طرف، وكانت هذه المرأة المسكينة تخاف أن تلمسه لئلا تنجسه (لا١٥: ١٩) بل لمست هدب ثوبه بحرص شديد وبطريقة خفية لئلا يراها أحد. أما يسوع فأراد أن يجازيها علنًا ويوفر عليها الأموال التي أنفقتها على الأطباء الذين لم يستطيعوا أن يشفوها من هذا المرض العضال، وهذا ما قاله لوقا الذي كان طبيبًا. فنرى يسوع يتحنن عليها ويدعوها "ابْنَةُ" ويغمرها بعطفه ويعطيها نعمة السلام مع شفائها ويظهر للجمع الفرق بين الذي يلمسه والذي يزحمه ولا يتصل به بقلبه. وأكد يسوع للمرأة أن الشفاء لا يؤخذ منه اغتصابًا بل اختيارًا، وأعلن أن الإيمان هو الأساس إذ قال: "إِيمَانُكِ قَدْ شَفَاكِ". وهذه المعجزة جرت بينما كان المسيح متجهًا لشفاء فتاة أخرى هي ابنة وحيدة لايارس رئيس المجمع، وتلك الحادثة أخرت يسوع في طريقه حتى أخبروا يايرس: "قَدْ مَاتَتِ ابْنَتُكَ. لاَ تُتْعِبِ الْمُعَلِّمَ" (لو٨: ٤٩) أما يسوع فالتفت ليايرس مطمئنًا إياه قائلاً: "لاَ تَخَفْ! آمِنْ فَقَطْ، فَهِيَ تُشْفَى". وبالفعل أقامها يسوع قائلاً لها "يَا صَبِيَّةُ، قُومِي"! فرجعت روحها وقامت في الحال! يسوع يحتاج، إذًا، إلى قوة إيمان

الإنسان لكي يحقق المعجزة؛ لا يفرضها عليه فرضًا وكأن الإيمان يبث قوة والشك يؤدي إلى الضعف كما حصل لبطرس الذي عندما شك وقع في البحر بعد أن كان يمشي عليه.

لنتأمل معا في حادثة المرأة الزانية كما وردت في (لو ٧: ٣٦-٤٩)؛ تلك المرأة الباكية على خطاياها لما سمعت برحمة يسوع وعجائبه ومقدرته على غفران الخطايا، اشترت طيبًا غالي الثمن، والمعروف أن ثمن الطيب كان بمقدار ثمن الفضة. تجرأت هذه المرأة ودخلت البيت حيث كان يسوع متكئًا، وهو بيت أحد الفريسيين ومكان محفل الأشراف والوجهاء، ودنت من يسوع وسجدت عند قدميه، وأخذت تبكي وتحل شعرها في مجتمع الرجال وعلى مرأى منهم، وهذا عمل لا تقوم به امرأة وقورة في نظر المجتمع اليهودي آنذاك. وبالطبع هذا التصرف أزعج الفريسي صاحب البيت الذي قال في نفسه: "لَوْ كَانَ هذَا نَبِيًّا، لَعَلِمَ مَنْ هذِهِ الامْرَأَةُ الَّتِي تَلْمِسُهُ وَمَا هِيَ! إِنَّهَا خَاطِئَةٌ" (لو٧: ٣٩)، وخاصةً عندما ابتدأت تبل قدمي يسوع بدموعها وتقبّلهما وتمسحهما بشعر رأسها وتدهنهما بسخاء بالطيب. نتساءل أحيانًا: كيف تحكم نحن على هذه الفئة من النساء وهل من محاولة لحثهن على التوبة؟ واجبنا كمسيحيين أن نتعلم من يسوع كيف تصرف أمام عمل هذه المرأة التي اشمأز منها الجمع والتلاميذ معًا. وعندما شعر بذلك توجه يسوع إلى سمعان لأنه علم ما يدور في ذهنه وقال له مثلاً يوضح فكرة المسامحة وجعل سمعان يصل إلى النتيجة. كان المثل عن إنسان كان له مديونان على الواحد خمسمائة دينار وعلى الآخر خمسون وسامح هذا الإنسان كليهما، فسأل يسوع أيهما يكون أكثر حبا له فأجاب سمعان: "أَظُنُّ الَّذِي سَامَحَهُ بِالأَكْثَرِ"، فقال له يسوع: "بِالصَّوَابِ حَكَمْتَ". وأوضح أن هذه المرأة "قَدْ غُفِرَتْ خَطَايَاهَا الْكَثِيرَةُ، لأَنَّهَا أَحَبَّتْ كَثِيرًا. وَالَّذِي يُغْفَرُ لَهُ قَلِيلٌ يُحِبُّ قَلِيلاً." ثم توجه يسوع إلى المرأة فقال لها: مَغْفُورَةٌ لَكِ خَطَايَاكِ.. إِيمَانُكِ قَدْ خَلَّصَكِ، اِذْهَبِي بِسَلاَمٍ." وبقي الجمع يتذمرون ويقولون: "مَنْ هذَا الَّذِي يَغْفِرُ خَطَايَا أَيْضًا؟" (لو٧: ٣٦-٥٠).[٢]

المرأة في الكنيسة الأولى

سفر أعمال الرسل لا يخلو من ذكر نساء تقيات منهن ليدية (أع١٦: ١٤)، وطابيثا وهي تلميذة مسيحية يقال عنها إنها كانت ممتلئة أعمالاً صالحة وإحسانات كانت تصنعها وكانت تمضي وقتها بخياطة الأقمصة والثياب وكانت محبوبة جدًا لدى الجماعة المسيحية. وقد أقامها بطرس الرسول من الموت بناءً على طلب الكنيسة (أع٩: ٣٦-٤٤)، كما فعل إيليا النبي في الماضي بابن الأرملة (١مل١٧: ١-١٤). ثم هناك والدة تيموثاوس البارة والذي يصفه بولس الرسول بابنه الحقيقي في الإيمان (١تي١: ٢)، وبريسكلا الأمينة زوجة أكيلا، وهما صديقان حميمان لبولس الرسول استقبلاه لمدة سنة وستة أشهر في بيتهما وكانا يعملان في صناعة الخيام التي كانت مهنة بولس فعملوا معًا (أع١٨: ١-٢٦). ويذكر سفر الأعمال أيضًا بيت مريم المرحبة، أم يوحنا مرقس، كاتب الإنجيل، حيث كان المسيحيون يلتقون للصلاة والتي تميزت بضيافتها لبطرس حينما خرج بأعجوبة من السجن (أع١٢: ١٢).

وبما أن اللوحة لا تخلو من الخيانة، فقد ورد في (سفر أعمال الرسل ٥: ١-١١) ذِكر رجل اسمه حنانيا وامرأته سفيرة، والذي باع ملكًا واختلس من الثمن، وامرأته الجشعة كانت تعرف بذلك، وأتيا بجزء بسيط منه ووضعاه عند أرجل الرسل، إذ آنذاك كان كل شيء مشتركًا عند الجماعة المسيحية الملتفة حول الرسل.

ولم يكن أحد محتاجًا. ولكن بسبب خيانتها وكذبها لاقت قضاءها الفوري وماتت كزوجها عقابًا لهما على خيانتهما.[٣]

ونرى أيضًا في أوروبا امرأة فاضلة تُدعى ليدية كانت أول مَنْ آمن بالمسيح في ولاية مكدونية (أع١٦: ١٣، ١٥). وقد وضع

[٢] إيما غريب خوري. المرأة في الكتاب المقدس: من حواء إلى مريم، ١٦٦-١٧٠.

[٣] المرجع السابق.

الرسل مُثلاً عُليا للمرأة المسيحية (١تي٣: ١١؛ ١بط٣: ١-٦) ورفعوا شأن المرأة كرمز للكنيسة (أف٥: ٢١-٣٣). لقد خدمت النساء الرسل من مالهن وشغلن مناصب رسمية ذات تأثير روحي كبير في الكنيسة (رو١٦: ١). وكان الرسول بولس مَنْ أكثر من كتب عن المرأة ومكانتها في الكنيسة.

لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، الجَمِيع وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ.

إن كلمات الرب لآدم وحواء: "أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأُوا الأَرْضَ، وَأَخْضِعُوهَا، وَتَسَلَّطُوا" تتضمن أن البركة متساوية تمامًا للذكر والأنثى بدون تمييز، بل هي في الحقيقة بركة واحدة مُقسمة بينهما بالتساوي ينالانها معًا طالما هما في ألفة وفي اتحاد.

ونلاحظ هنا أن الله يخاطب آدم وحواء – وهما اثنان فقط – بصيغة الجمع، وهو تعبير عميق يدل على حضور صورة البشرية جمعاء في فكر الله ورؤيته للبشر جميعًا في شخص آدم وحواء. وهكذا فإن كل ما قيل لآدم وحواء ينطبق على البشرية كلها في كل العصور وعلى مدى الأجيال، أي على كل رجل وكل امرأة في كل الظروف والأحوال. يمكننا الآن أن نتخيل مدى عدم كفاية المعنى إذا جاءت كلمات الله لآدم وحواء بصيغة المثنى، فمنذ بداية الخلق ومبدأ المساواة بين الرجل والمرأة ثابت فيهما، وسيظل هكذا إلى الأبد. ثم نتجت عن هذه البركة الواحدة المتساوية مسئولية واحدة متساوية وغير مجزأة، فهما يعملان معًا بمقتضى هذه البركة:

– "أَثْمِرُوا": واضح هنا أن الثمر يعني النسل، حيث إن مسئولية الإنجاب متساوية بينها، كما أن أعباءها مقسمة بينها بالتساوي أيضًا.

– "اكْثُرُوا": هذا يعني أن نسلهما قد نال نفس البركة التي لهما ليثمروا هم أيضًا، حيث تأتي الكثرة التي لا تستنفذ البركة أبدًا، بل ستظل البركة هي المصدر الثابت لدوام النسل والكثرة.

– "أَخْضِعُوهَا": الأمر هنا أمر إلهي مصحوب بالبركة، وهو مُلقى على عاتق الرجل والمرأة معًا، وبالتساوي دون تمييز أو تفرقة. وهنا فإن عدم تميُّز الرجل عن المرأة في عملية إخضاع قوى الطبيعة المضادة – مهما كان مصدرها ومهما كانت صعوبتها – يتضمن حقيقة خطيرة للغاية، وهي أن ضمان النصرة في إخضاع الإنسان لأية قوى مضادة أو معاكسة يعتمد على التعاون، بل على الانسجام، بل على الإتحاد، بين الرجل والمرأة.

وحتى لو أخذنا في الاعتبار أن الرجل غالبًا ما يكون هو الأكثر كفاءة في مقاومة القوى الطبيعية المعاكسة، من حيث الأداء، إلا أن دور المرأة سيظل مساويًا تمامًا لدور الرجل من حيث المسئولية حسب أمر الله، لأن انسجام الفكر والإرادة والمشيئة بين الرجل والمرأة هو في المقام الأول العامل الحاسم الذي يمهد الطريق لتدخل الله لإخضاع الطبيعة، وليس القوة التي انتقلت من ذراع الرجل إلى تروس الآلات والماكينات الصناعية التي أعطتنا قوة الحضارة الإنسانية اليوم. فما أرخص القوة الآن في عصر الآلة. فبظهور الحضارة ودخول الإنسان عصر الآلات، استولى الرجل في البداية – بغير وجه حق – على إدارتها دون المرأة، بحجة أنه الأقوى والأكثر قدرة على التحمل والكفاح والصبر؛ وقبلت المرأة بذلك بسبب ظهور الآلة في البداية بصورة مخيفة وخطرة، وهكذا اتخذ الرجل من قوة الآلة حجة أنه الأقوى، رغم أن قوة الآلة حلت محل قوته، فلم تعد لقوة الرجل في إدارة الآلة نفس المسئولية والجهد اللذين كان يتطلبهما السعي في الحياة بقوة الذراعين فقط. وقد ظهر هذا الأمر بصورة واضحة عندما تطورت الآلة ولم يعد تشغيلها يحتاج إلا أقل مجهود، حيث لا تحتاج أحيانًا أكثر من تحريك اليد أو الرجل أو الأصبع أو بالضغط على بعض الأزرار. وهكذا انكشف الظلم الذي لحق بالمرأة بسبب الأسطورة القائلة بأن قوة العضلات هي الأساس في توزيع الحقوق والسيادة والسلطة بين الرجل والمرأة. وحتى القول بالذكاء وسرعة البديهة اللذين احتكرهما الرجل باعتبارهما من مواهبه الطبيعية ثبت عدم صحته، فعندما دخلت المرأة ميدان الكفاح والدراسة والتحصيل ثبت التوزيع العادل لهذه الصفات، وبلغت المرأة نفس المستوى الذي احتكره الرجل

لنفسه طوال هذه العصور. وهكذا يتضح أن حقوق كل من الرجل والمرأة تقوم أساسًا على المساواة في سلطان واحد ممنوح لهما معًا.[٤]

تؤكد لنا الكلمة المقدسة أن الرب هو مصدر القوة الحقيقية للإنسان بشكل عام (راجع أف١: ١٩؛ ٣: ٢٠، ٧، ١٦؛ أع١: ٨)، ولذلك فإن حجة الرجل الأولى للحصول على حقوق أعلى من المرأة بسبب سلطته أصبحت باطلة، وأصبحت المرأة بالروح القدس في وضعها المسيحي الجديد – أي بقوة المسيح واتحادها بالرجل – مساوية تمامًا للرجل في كل ما يتعلق ببناء الإنسان الكامل الجديد وتكميل العمل لاستعلان ملكوت الله: "لأَجْلِ تَكْمِيلِ الْقِدِّيسِينَ لِعَمَلِ الْخِدْمَةِ، لِبُنْيَانِ جَسَدِ الْمَسِيحِ" (أف٤: ١٢)، حيث قَامَةِ مِلْءِ الْمَسِيحِ ليس فيها "ذَكَرٌ وَأُنْثَى" بل "إنسان (واحد) كامل" هو "الكنيسة" والتي هي "جسد المسيح".

وهكذا يؤكد بولس الرسول: "... لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، لأَنَّكُمْ جَمِيعًا وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ" (غل ٣: ٢٨)، وهو لا يقول: "رجل وامرأة" بل "ذكر وأنثى" قاصدًا القضاء على مفهوم التمييز والتعالي الجنسي بين الرجل والمرأة من جميع الجوانب. ويعود بولس الرسول في موضع آخر ليؤكد التساوي المطلق والمتبادل في الحقوق والواجبات بين الرجل والمرأة في الحياة المسيحية، بقوله: "غَيْرَ أَنَّ الرَّجُلَ لَيْسَ مِنْ دُونِ الْمَرْأَةِ، وَلاَ الْمَرْأَةُ مِنْ دُونِ الرَّجُلِ فِي الرَّبِّ" (١كو١١: ١١)، ثم يعطي هذا التساوي بين الجنسين مفهومًا آخر أعمق إذ يقول: "لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْمَرْأَةَ هِيَ مِنَ الرَّجُلِ، هكَذَا الرَّجُلُ أَيْضًا هُوَ بِالْمَرْأَةِ. وَلكِنَّ جَمِيعَ الأَشْيَاءِ هِيَ مِنَ اللهِ" (١كو١١: ١٢).

وهكذا إذ يعيد بولس الرسول كل شيء إلى الله، كمصدر للحياة بجملتها، يوضح أنه لا يوجد تمييز بين الرجل والمرأة في أي شيء، خاصةً وأن المسيح جعل الاثنين واحدًا فيه كغاية ونهاية للحياة الحقيقية؛ فالمرأة حينما تتحد بالمسيح تساوي الرجل تمامًا حينما يتحد بالمسيح؛ وإذا اتحد الرجل بالمرأة في المسيح صارا في المسيح إنسانًا واحدًا كاملاً "إِذًا لَيْسَا بَعْدُ اثْنَيْنِ بَلْ جَسَدٌ وَاحِدٌ" (مت١٩: ٦). وهكذا تزول مشكلة التميز بين الرجل والمرأة على أساس الجنس لتصل إلى الوحدة في طهارة الرؤية والتفكير؛ وهنا لا يلغي الروح القدس جمال الخلقة الأولى بل يرفع منها العثرة والبغضة والتمييز ويعيدها إلى كمالها. لذلك يجب ألا ننسى أبدًا أنه بمجرد ذكر الإنسان الجديد المولود ثانيةً من فوق لا ينبغي إطلاقًا التفريق بين الرجل والمرأة في كل حقوق الأخذ والعطاء الروحي من الله، لأنها ببساطة من الله وبالله. كذلك بمجرد أن يخلع الرجل والمرأة من جهة التصرف السابق الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور ويتجددا بروح ذهنهما، فإنهما يلبسان الإنسان الجديد أمام الله وليس أمام الناس – حيث ليس ذكر وأنثى، لأنه يكون "مخلوقًا بِحَسَبِ اللهِ فِي الْبِرِّ وَقَدَاسَةِ الْحَقِّ" (أف٤: ٢٢)؛ لأن الإنسان الجديد يعود ويأخذ صورة خالقه، حيث يصير المسيح فيه "الْكُلَّ فِي الْكُلِّ" (أف١: ٢٣)، وهكذا نرى بصورة عملية كيف يصبغ الروح القدس الجنس في المسيح يسوع بصبغة القداسة السرية جدًا.

ومع ذلك، فإن هذه المساواة الكاملة والمطلقة بين الرجل والمرأة في المسيح لا تلغي التمايز الخلقي للجسد والفارق التكويني في وظائف الأعضاء والصفات والمميزات الخاصة بكل من الرجل والمرأة إلى الدرجة التي تسمح للمرأة بممارسة كل حقوق الرجل، في ممارسة الحياة الروحية – لا سيما داخل الكنيسة أو في وسط الجماعة – فمهما اصطبغت أنوثة المرأة بالروح إلا أن بقاءها في الجسد يحدها في السلوك والحرية، فالرجل يبقى دائمًا رجلاً والمرأة امرأة بكل مميزاتها وفوارقها الطبيعية.[٥]

[٤] متى المسكين. المرأة حقوقها وواجباتها في الحياة الاجتماعية والدينية في الكنيسة الأولى، ٧-١٠.

[٥] متى المسكين. المرأة حقوقها وواجباتها في الحياة الاجتماعية والدينية في الكنيسة الأولى، ١٩-٢١.

دور المرأة المسيحية اليوم

المرأة مسئولة عن حياة زوجها الروحية مثلما هي مسئولة عن حياة أولادها. الحياة الزوجية تكاتف من أجل التقديس. ولذلك فالزواج في المسيحية سر مقدس. يوصي القديس باسيليوس الكبير بأن تخضع المرأة لرجلها دون أن يتحول الخضوع إلى إذلال. وفي الواقع، إذا كان الزواج مسيحيًا فلا بد من أن تخضع المرأة لكي لا تعم الفوضى في العائلة ويتقهقر كيانها. وعلى الرجل أن يغض النظر عن مساوئ زوجته، لأنه كما يقول جبران خليل جبران: "الرجل الذي لا يسامح هفواتها الصغيرة لن يتنعم بفضائلها الكبيرة."[٦] وعلى المرأة أيضًا أن تبادله التسامح ليتحقق الوئام بينهما، فعلى كل من الزوجين أن يراعي مشاعر الآخر. ولكن المطلوب من المرأة، وهي الإنسان الرحوم، أن تدفن أسباب الخلاف في إطار عائلتها وألا تنظر إلا من باب المحبة. المرأة الآن برهنت أنها تستطيع أن تدخل في السلك السياسي، فهناك وزيرات ورئيسة وزارة وملكات... ولكن، ولو حكمت العالم عليها أن تبقى امرأة، والمرأة أقوى من الرئيسة، فهي الوحيدة التي تستطيع أن تجعل من الرجل طفلاً ومن الطفل رجلاً.

أما فيما يتعلق بدورها كأم، فعليها أن توجه أولادها نحو المسيح بدون ضغط ولا سيطرة. الله نفسه لا يفرض محبته ولا يحب الإرغام، ولذلك أعطى الإنسان الحرية. وعلى الأم إذًا أن تحترم حرية أولادها وتحاول إقناعهم بالحجة وكلمة الله، والأكثر من ذلك، بالمثل والقدوة في الحياة. عليها أن تُظهِر لهم أن المسيح شيء مهم بالنسبة إليها، فتعيش المحبة أولاً في بيتها ومع ذويها ثم خارجه، وأن تمزج محبتها طبعًا بالطرق التربوية، فالمحبة لا تلغي الشدة والصرامة. عليها أن توجه أولادها في اختيار طريقهم في الحياة، وألا تقف في وجه أحدهم إذا اختار سبل الرب. عليها أن تبني عائلة حية، وتؤسس بيتها على أسس متينة. عليها أن تساهم في تحرير المرأة من محاكم الأسرة وظُلمها بسبب طلب الطلاق والمجالس المهينة لكرامتها، وذلك بإرشاد المقبلات على الزواج في اختيار الزوج شريك الحياة على أسس مسيحية كتابية، والسعي إلى حل مشكلات الزواج قبل الوصول إلى الطلاق مصيبة القرن الحادي والعشرين.

[٦] إيما غريب خوري. المرأة في الكتاب المقدس: من حواء إلى مريم، ٢٠-٢١.

الفصل الرابع

رسامة المرأة قسًا بين الموروث الثقافي والنص الكتابي

انتشرت في الآونة الأخيرة على مواقع التواصل الاجتماعي دعوات عامة وعلنية تطالب الكنيسة الإنجيلية برسامة المرأة في منصب "القس". وقد أثار قرار المجلس القضائي والدستوري، التابع لسنودس النيل الإنجيلي، بتجميد الطلبات المقدمة لرسامة المرأة قسًا لمدة ١٠ سنوات، حالة من الجدل ما بين مؤيد ومعارض داخل أروقة الكنيسة، وهبت موجة عاصفة من الآراء المتضاربة في نفس القضية.

يرى المعارضون داخل الكنيسة الإنجيلية أن رأيهم مبني على فهمهم لنصوص الكتاب المقدس وطبيعة عمل القساوسة، بينما المؤيدون يشددون على أن الكتاب المقدس يحوي الكثير من الأدلة التي تؤيد رسامة المرأة في رتبة قس، وأن الكنيسة الانجيلية كنيسة ديمقراطية وتؤمن بالمساواة بين المرأة والرجل في القيمة والدور، وأن فكرة الرسامة هي تخصيص للخدمة، وقد سمحت الكنيسة الإنجيلية برسامة المرأة شيخًا من أجل تخصيصها في الأمور الإدارية، وأن رسامة المرأة قسًا يجعل في استطاعتها خدمة الكنيسة وممارسة الشعائر الدينية مثل الطقوس والمعمودية. ولكن الطبيعية الشرق أوسطية والمجتمع الشرقي الذي نعيش فيه هما ما يمنعنا من اتخاذ هذا القرار، لافتين النظر إلى أن الكنائس الإنجيلية في المهجر ولبنان تقوم برسامة المرأة في منصب القس وهي كلها كنائس عربية.[١]

أما من جانب الكنيسة الإنجيلية في مصر، فقد قامت بالموافقة على رسامة المرأة شيخًا عام ٢٠٠٦. وفي عام ٢٠٠٩، تقدمت أول قبطية إنجيلية وتُدعى "آن زكى" بطلب إلى رئاسة الطائفة الإنجيلية في مصر لتصبح "قسيسة". وقد قامت رابطة الكنائس الإنجيلية بالشرق الأوسط بمطالبة الدول الأعضاء من بينها مصر باتخاذ التدابير اللازمة لتعيين المرأة قسًا في الكنيسة الإنجيلية، إلا أن قرار المجلس القضائي والدستوري التابع لسنودس النيل الإنجيلي بمصر جاء بتجميد الطلبات المقدمة لرسامة المرأة في منصب القس لمدة ١٠ سنوات. وأخيرًا، قامت الكنيسة اللوثرية في فلسطين في سنة ٢٠٢٣ برسامة أول امرأة فلسطينية تُدعى "سالي عازر" قسيسة. ويحتاج موضوع رسامة المرأة قسيسة في الكنيسة إلى قناعات لاهوتية وثقافية اجتماعية، سواء لدى متخذي القرار أو لدى شعب الكنيسة. وأعتقد أن أي دراسة جادة على صعيد هذه القضية هي إضافة مطلوبة بشدة لإلقاء مزيد من الضوء حولها، وترسيخ قناعات أكبر بكل جوانبها.[٢]

وبالنسبة للكنيسة الأرثوذكسية، فهي ترفض دخول المرأة "الكهنوت" بدرجاته (الشموسية والقسوسية والأسقفية). وبسؤال البابا شنودة عن رسامة المرأة قسًا، أكد رفضه التام معللًا رفضه بوجود موانع طبيعية تحول دون دخول المرأة هذا الحقل مثل الحمل والرضاعة وتربية الأولاد.[٣]

---

[١] رسامة المرأة قسًا تشعل أزمة داخل الإنجيلية. مقال متاح على https://www.anahwa.com/279694

[٢] صموئيل رزقي. المرأة شيخًا وقسًا في الكنيسة، ٧.

[٣] رجب رمضان. جدل بين الأرثوذكس والإنجيليين حول رسامة المرأة قسًا. مقال متاح على موقع جريدة المصري اليوم https://www.almasryalyoum.com/news/details/99149

هذا وترى الكنيسة الأرثوذكسية أن حقل الكهنوت يُعَد سرًا مقدسًا، وليس مجرد وظيفة رعوية يمكن أن يتقلدها أي شخص. وتؤكد الكنيسة الأرثوذكسية على رفضها لدخول المرأة خدمة الكهنوت للأسباب التالية: أن الرجل هو رأس المرأة، والكاهن يمثل المسيح نفسه، كما أن العذراء مريم على الرغم من مكانتها الرفيعة داخل الكنيسة لم تتول أيًا من أعمال الكهنوت، فلو كان يحق الكهنوت للمرأة لكانت هي أولى به من غيرها. ومن الشروط التي يجب توافرها في الكهنوت الطهارة، والمرأة وهى حائض لا يليق بها أن تحضر القداس وتمارس شعائره، فكيف تقيمه من الأساس؟! كما أن المسيح لم يتخذ تلاميذ له من النساء، كما أن هناك موانع طبيعية مثل الحمل والرضاعة ورعاية الأطفال تعوق تولي المرأة منصب الكاهن.

قبل النطق بالحكم على هذه القضية. دعونا أن نفكر في هذه الأمور: هل عندما خلق الله الإنسان على صورته، خلق المرأة أيضًا على صورته؟ وإن كانت المرأة مخلوقة على صوره الله، فما هي صفات تلك المرأة؟ وما رأي أسفار العهد القديم في دور ووظيفة المرأة، تلك المخلوق الفريد؟ وهل هناك نساء قمن بالخدمة الدينية في العهد القديم أم لا؟ وفي العهد الجديد، هل كان للمرأة دور مع السيد المسيح؟ هل كانت له تلميذات خادمات؟ أيضًا كيف تناول الرسول بولس قضية دور المرأة في الخدمة الدينية؟ هل حقًا عارض الرسول بولس خدمتها أم كان مؤيدًا لها؟ كيف نفهم تلك النصوص في ضوء القرينة التاريخية لها؟ وأخيرًا، هل رسامة المرأة في الكنيسة قسًا أمر حتمي؟ ماذا يحدث لو لم تتم رسامة المرأة قسًا؟ هل عدم رسامة المرأة يُعد ظلمًا اجتماعيًا ولاهوتيًا لها؟ وهل خص الله الرجال فقط بالخدمة الدينية؟ هل الله يعامل الإنسان بتفرقة على أساس الجنس؟ هل يمكن أن يعطي الله مواهب للرجل ولا يعطي مثلها للمرأة؟ ما هو دور الكنيسة في قضية رسامة المرأة؟ هل تسبق المجتمع، أم تسير معه، أم تقف عائقًا وسدًا منيعًا ضد حقوق المرأة؟

دور المرأة الديني في العهد القديم

في العهد القديم، ظهر دور للنساء في النبوة والقضاء. وكانت لكل دور من أدوار المرأة بصمة رائعة في التاريخ العبري:

دبورة: كانت نبية وقاضية (قض ٤، ٥). كنبية، استطاعت أن تحمل رسالة الرب إلى شعبها. وكقاضية، قامت بدور حربي وسياسي. حصلت دبورة على منصب النبوة والقضاء في وقت واحد. وهي شاعرة مؤلفة للترنيمة التي وردت باسمها (قض ٥). وكقاضية، حاربت الكنعانيين وانتصرت عليهم (قض٩: ٥٣-٥٤)، فقادت الجيش وهزمت جيش سيسرا الكنعاني والذي قتلته امرأة أخرى وهي ياعيل، وأنهت حالة الحرب، وحكمت الشعب لفترة طويلة.

خلدة النبية: (٢مل٢٢: ١٤-٢٠) امرأة نبيه تنبأت في زمن يوشيا الملك. وتتلخص قصتها في أن حلقيا الكاهن العظيم وجد سفر الشريعة، ثم سلَّمه إلى الملك يوشيا. أرسل الملك بعثة من كبار رجال

الدولة إلى خلدة النبية (٢مل٢٢: ٨، ١٠، ١٤) ونلاحظ هنا أن يوشيا الملك أرسل خمسة أشخاص كوفد رسمي ليسألوها: ماذا يفعلون بسفر الشريعة الذي وجدوه؟ والجدير بالذكر أن خلدة لم تكن هي الشخصية الوحيدة التي تخدم في مجال النبوة في ذلك الوقت، بل كان هناك رجلان من أفضل الأنبياء وهما إرميا وصفنيا. ولكننا يمكن أن نقول إن خلدة النبية كانت الأقدر والأشجع في الموضوع المرسَل لها من قِبل الملك. وكان المهم بالنسبة للملك يوشيا أن يعرف إرادة الله، فلا فرق عنده بين نبي ونبية. وكانت في جواب النبية (٢مل٢٢: ١٦-٢٠) نبوءة عن أمر في غاية الصعوبة تنبأت بالسبي القادم، أي الخراب والدمار الذي سيحل بيهوذا، إلا أنها تنبأت بأن الملك سيموت قبل أن يرى ذلك الخراب والدمار، وذلك بسبب تواضعه أمام الله. فكانت النتيجة أن الملك يوشيا أحدث نهضة كبرى أثناء مُلكه.

خلاصة القول: هذه عينة من بعض من النساء اللاتي عملن في عمل له طابع ديني، أو قريب من الطابع الديني. فهل ظلم العهد القديم المرأة، أم ظلمتها الحضارات؟ إن كان قد وقع ظلم على المرأة فهو من نتاج الحضارات المختلفة. وبالرغم من الظلم، استطاعت المرأة أن تلعب أدوارًا مؤثرة وفعالة في المجتمع، حتى في وجود العقبات التي واجهتها في مجتمع ذكوري في العهد القديم.

هل كانت للسيد المسيح تلميذات؟

كما ذكرتُ سابقًا، يستند الرأي المعارض لرسامة المرأة قسًا على أن السيد المسيح لم تكن له تلميذات. فعلًا، فقد اختار المسح تلاميذه من الرجال، وذلك لأن الرب يسوع كان يهوديًا ولم يرد أن يسير ضد الثقافة والتقليد السائدين وقتها. فكما أنه لم يعين تلاميذ من الأمم، كذلك لم يعين نساء لأن الأمر كان ضد الثقافة السائدة. ولعل المسيح لم يختر امرأة وسط تلاميذه تتجول معه من قرية إلى أخرى، بسبب المعتقدات اليهودية، بالإضافة إلى تأثر تلك المعتقدات بقيمة المرأة عند اليونانيين والرومان. لكن السيد المسيح كانت له تلميذات بدون لقب تلميذ، وكان له دور رائع مع المرأة كما أشرنا سابقًا في الفصل الثالث تحت عنوان "نظرة يسوع إلى المرأة". يعلن البشير لوقا (لوقا٨: ١-٣) أن يسوع خدمت معه عدد كبير من النساء قدمن الكرازة للناس والدعم المادي للخدمة، وكان هذا وضعًا يصعب قبوله، إذ كان يتعذر على الرجل الشرقي أن يقبل الدعم المالي من نساء. ولا يزال هذا الفكر سائدًا إلى الآن. ولكن السيد المسيح قبل دعم النسوة لخدمته. فهل المساعدات المالية التي ساهمت في تقدم خدمة يسوع يمكن تجاهلها بحجة أنه لم يختر تلميذات؟ أم يمكن أن نرى تنوعًا في التلمذة؟ فهناك تلميذ يسافر مع الرب يسوع، وهناك تلميذات يسددن النفقات.

لم يختر السيد المسيح تلميذًا من الأمم. ولكن ارتضى الوحي أن يكتب لوقا – وهو أممي – كتابين هما إنجيل لوقا وسفر الأعمال. وقد قبلت الكنيسة هذين السفرين من ضمن الأسفارً القانونية كباقي أسفار الكتاب المقدس. لقد اختار السيد المسيح تلاميذه من أمة واحدة؛ من اليهود، ومن منطقة الجليل ما عدا يهوذا الإسخريوطي؛ وجميعهم كانوا يتكلمون الآرامية. والسؤال هو: هل ينبغي أن نختار قياداتنا من اليهود المتكلمين بالآرامية على أن يكونوا أيضًا من الجليل؟ إذا كان لنا الحق أن نختار خدامنا من كل أمة ومن كل لون فهذا معناه أن الله أعطى لنا الحرية في الاختيار. وإذا كان الله قد أعطى لنا الحرية فيمكن لنا أن نختار المرأة في الخدمة الكنسية. وقد اختارت الكنيسة بعد السيد المسيح شيوخًا وقسوسًا من الأمم، لأن الخدمة انتشرت خارج حدود اليهودية. فهناك تطور في الخدمة، وبالتالي فهناك تطور في مفهوم القائمين بالخدمة. وهذا التطور يكون بحسب الموقع والعادات والتقاليد.[٤]

ما بين الموروث الثقافي والنص الكتابي

تأثرت نصوص الكتاب المقدس ببعض الحضارات التي كُتبت فيها. ونلاحظ أن القصور ليس في النص الكتابي، بل في الفهم الخاطئ للنص، والذي نستقيه من الخطأ في طريقة التفسير. فهناك مبادئ علمية لتفسير الكتاب المقدس، ولكن المشكلة تكمن في عدم معرفة هذه المبادئ، وبالتالي عدم تطبيقها، فيخرج التفسير بدون معرفة السياق الثقافي والخلفيات التي كُتب فيها النص. وأكثر النصوص التي يساء فهمها وتفسيرها هي تلك النصوص المتعلقة بالمرأة ودورها في الحياة وفي الخدمة. وقد تأثر الرسول بولس بالحضارات السائدة في وقته: اليهودية، واليونانية، والرومانية. فالحضارة اليهودية هي التي نشأ وولد فيها، واعتنق المبادئ الدينية منها، وقد كان بولس قبل المسيحية يهوديًا يتبع حزب الفريسيين المدقق في الشريعة الموسوية (في٣: ٥). وطبقًا للثقافة اليهودية، كان وضع المرأة متدنيًا. فقد كان اليهود يحطون من قدر المرأة، حيث فهموا نصوص الشريعة خطأ من حيث إنها لم تعتبر المرأة كائنًا مستقلاً؛ بل كان يُنظر إليها على أنها شيء يُقتنى. فكانت المرأة ملكًا لأبيها ثم زوجها. وبالرغم من تقديس اليهود للزواج قديمًا إلا أنهم كانوا يطلقون زوجاتهم لأتفه الأسباب. والمرأة في تلك الأوقات لم تكن لديها فرصة للتعلم، ولم يكن لها دور بارز على الصعيد التعبدي والروحي والاجتماعي.

أما بالنسبة لتأثير الحضارة الرومانية التي كانت تستعبد اليهود في ذلك الوقت، فقد كانت مكانة المرأة تشبه مكانة العبيد، ولم يكن لها مركز اجتماعي يُذكر. وبسبب انتشار الثقافة اليونانية والتي أثرت على المسيحية في أمور كثيرة ومن ضمنها رؤيتها للمرأة، لم يكن للمرأة

[٤] صموئيل رزقي. المرأة شيخًا وقسًا في الكنيسة، ٢٧-٢٩.

الوضع الأفضل مقارنةً بوضعها في الحضارات السابقة. هذا هو وضع المرأة في الحضارات التي عاش فيها بولس الرسول. إذًا نفهم من ذلك أن لكل نص من نصوص الكتاب خلفيته الحضارية، ولأن الكتاب المقدس لم يُكتب لشعب واحد وحضارة واحدة، لكنه خاطب كل الحضارات بالرغم من تأثره بحضارة عصره، يجب فهم النص الديني في ضوء الحضارة والثقافة التي كُتب فيها النص.

وهنا نتساءل: إن كان الكتاب المقدس لم يضع تمييزًا بين الجنسين؛ فمن أين أتى هذا التمييز؟ ومن أين أنت الفرقة بين الذكور والإناث؟ إن التمييز بين الجنسين حدث في فترات التاريخ المختلفة نتيجة اختلاف الحضارات. والمحاذير الموضوعة على خدمة المرأة سببها اجتماعي وليس لاهوتيًا.

نساء في الخدمة الكنسية

لقد أعطى الرسول بولس للعديد من النساء الفرصة في الخدمة الكنسية. ومن أبرز أولئك النساء:

ليديا: تُعتبر ليديا أول امرأة آمنت بالمسيحية في قارة أوروبا. قبلت ليديا كلام الرسول بولس، وآمنت بالمسيحية (أع ١٦: ١٤، ١٥). فقد فتح الله باب البشارة لكل القارة؛ وكانت البداية امرأة.

تسع نساء خادمات: قدم بولس الرسول في (رومية ١٦)، أسماء ستة وعشرين شخصًا خادمًا منهم تسعة من النساء: يونياس، فيبي، بريسكلا، مريم، وتريفينا وترفوسا، برسيس، جوليا وأخت نيريوس. ثم يدعو مؤمني رومية من نساء ورجال "جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ" (رو ١٦: ١٥).

أفودية وسنتيخي: ذكرهما الرسول بولس في (رسالة فيلبي ٤: ٢).

فيبي خادمة ومساعدة: كتب الرسول بولس إلى كنيسة رومية عن فيبي قائلاً: "أُوصِي إِلَيْكُمْ بِأُخْتِنَا فِيبِي، الَّتِي هِيَ خَادِمَةُ الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي كَنْخَرِيَا، كَيْ تَقْبَلُوهَا فِي الرَّبِّ كَمَا يَحِقُّ لِلْقِدِّيسِينَ، وَتَقُومُوا لَهَا فِي أَيِّ شَيْءٍ احْتَاجَتْهُ مِنْكُمْ، لأَنَّهَا صَارَتْ مُسَاعِدَةً لِكَثِيرِينَ وَلِي أَنَا أَيْضًا." (رو١٦: ١-٢). وماذا تعني كلمة "خادمة"؟ كلمة "خادمة" لقب في الكنيسة يحمل معني الخدمة المتخصصة. وقد أطلق الرب يسوع كلمة خادم على نفسه وعلى تلاميذه (مت٢٠: ٢٨؛ يو١٣: ١٢-١٧؛ مت٢٠: ٢٦؛ ٢٣: ١١؛ مر٩: ٣٥).

فك الإشكاليات التفسيرية

١- المرأة تعظ في الكنيسة

"وَأَمَّا كُلُّ امْرَأَةٍ تُصَلِّي أَوْ تَتَنَبَّأُ وَرَأْسُهَا غَيْرُ مُغَطًّى، فَتَشِينُ رَأْسَهَا، لأَنَّهَا وَالْمَحْلُوقَةَ شَيْءٌ وَاحِدٌ بِعَيْنِهِ" (١كو١١: ٥). هنا يقول الرسول بولس أن المرأة لا تصلي فقط، بل تتنبأ أيضًا. والتنبؤ لا بد أن يكون في اجتماع عام في الكنيسة، لأن خدمة التنبؤ في العهد الجديد هي خدمة الوعظ، بحسب قول الرسول بولس نفسه: "وَأَمَّا مَنْ يَتَنَبَّأُ، فَيُكَلِّمُ النَّاسَ بِبُنْيَانٍ وَوَعْظٍ وَتَسْلِيَةٍ" (١كو١٤: ٣).

خلاصة القول: لقد سمح الرسول بولس للمرأة أن تأخذ دورها في الخدمة، عندما سمحت الظروف بذلك.[٥]

[٥] صموئيل رزقي. المرأة شيخًا وقسًا في الكنيسة، ٤٧-٥٠.

٢- الرئاسة والتسلط

"وَلكِنْ أُرِيدُ أَنْ تَعْلَمُوا أَنَّ رَأْسَ كُلِّ رَجُل هُوَ الْمَسِيحُ، وَأَمَّا رَأْسُ الْمَرْأَةِ فَهُوَ الرَّجُلُ، وَرَأْسُ الْمَسِيحِ هُوَ اللهُ" (١كو١١: ٣)

ونبدأ بالسؤال: ماذا تعني عبارة "رَأْسُ الْمَرْأَةِ فَهُوَ الرَّجُلُ"؟ هل تعني الرئاسة والتسلط؟ وإذا كانت تعني الرئاسة، فهل يعني الرسول بولس أن أي رجل يمكن أن يكون رأسًا لأية امرأة؟ و أيضًا هل يعني أن المسيح رئيس ومسئول روحيًا عن الرجل فقط، ولا يرأس المرأة على الإطلاق؟ لا نجد في الكتاب المقدس أي فصل بين الرجل والمرأة في الحياة الروحية.

المقصود بكلمة "رأس" هو الأصل والمصدر، فبولس الرسول يؤكد هنا أن الرب يسوع هو أصل ومصدر حياة كل إنسان أو كل رجل، وأن أدم هو مصدر الحياة لحواء، فهي إذن مساوية له. فهو يشير إلى ترتيب التواجد الزمني بالجسد، فالرجل خُلق أولاً ثم المرأة، وهذا معناه أن الرجل أصبح مصدرًا لخلق المرأة، وهذا هو ما قصده الرسول بكلمة "رأس".

٣- صمت المرأة في الكنيسة

قدم الرسول بولس المرأة والرجل على قدم المساواة (غل٣: ٨، ١كو١١: ١١-١٢)، إلا أن بعضًا مما ذكره بولس قد يُفهم على سبيل منع المرأة من ممارسة الخدمة، ولكن بالعودة للخلفية الحضارية نستطيع فهم النص الكتابي. فمثلاً نجد في (١كو١٤: ٣٤) تصريحًا لبولس يقول فيه: "لِتَصْمُتْ نِسَاؤُكُمْ فِي الْكَنَائِسِ، لأَنَّهُ لَيْسَ مَأْذُونًا لَهُنَّ أَنْ يَتَكَلَّمْنَ، بَلْ يَخْضَعْنَ كَمَا يَقُولُ النَّامُوسُ أَيْضًا." ماذا يعني بولس بكلمة "تصمت"؟ وهل هناك خلفية ثقافية تخص الوضع في كورنثوس أم لا؟ وهل يمكن أن نُعمم ثقافة حضارة معينة في كل زمان؟ هل رغب بولس أن تكون هذه التعاليم عامة لجميع المسيحيين في كافة الكنائس؟ نحن نعلم أن النساء كن يشاركن في خدمة الوعظ/التنبؤ (١كو١١: ٥). ويذكر سفر الأعمال عن بنات فيلبس أنهن كن يتنبأن (أع٢١: ٩). فكيف إذن بعد أن يسمح لهم الرب بالوعظ والخدمة يعود ويمنعهن عن الكلام؟!

فالمقصود هو عدم الكلام مع بعض، فالكلمة اليونانية (σιγατωσαν)تعني حوارًا أو حديثًا معًا.[٦] إن الوضع الذي قيلت فيه الآية كان المنبر وسط الغرفة والرجال كانوا يجلسون حوله حسب التقليد اليهودي.

والنساء كن يجلسن في الطابق الأعلى أو البلكون أو الغرفة المجاورة وكن يتساءلن فيما بينهن عما يقوله المتكلم، لأنه في تلك الأيام لم تكن هناك مكبرات صوت. وعبارة "كَمَا يَقُولُ النَّامُوسُ أَيْضًا" أو الشريعة تعني كما يعلّم النظام الذي وضعه بولس في الكنيسة وهو عدم التكلم مع بعض أثناء العبادة أو الوعظ، وهو المعمول به إلى اليوم. وعبارة "فَلْيَسْأَلْنَ رِجَالَهُنَّ فِي الْبَيْتِ" لأن زوجها كان يجلس حول المنبر ويسمع كل شيء، فالأمر متعلق فقط بتنظيم العبادة. والرسول بولس عبَّر عن مشاكل عصره التي واجهها وحاول وضع حلول تخص كل كنيسة على حده. ولذلك لا يمكن اعتبار أن موقف ما يخص كنيسة في السياق الحضاري لها يكون مقياسًا سليمًا لتعاملنا مع المرأة في القرن الحادي والعشرون، فمنع النساء من الكلام في كنيسة كورنثوس سببه حفظ النظام وتوفير الوقار في العبادة. فالمنع من الكلام هنا هو لمنع التشويش داخل الكنيسة (١كو١٤: ٣٣) وليس منعًا من الوعظ والتعليم.

٤- منع المرأة من الوعظ والتعليم

" لِتَتَعَلَّمِ الْمَرْأَةُ بِسُكُوتٍ فِي كُلِّ خُضُوعٍ. وَلكِنْ لَسْتُ آذَنُ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تُعَلِّمَ وَلاَ تَتَسَلَّطَ عَلَى الرَّجُلِ، بَلْ تَكُونُ فِي سُكُوتٍ" (١تي٢: ١١-١٢).

لقد أوضحنا أن الصمت في كنيسة كورنثوس هو صمت عن إحداث شوشرة أثناء الاجتماعات. أما هنا في كنيسة أفسس،

[٦] متى كوركيس. علم التفسير، ١٧.

فيمنع الرسول بولس المرأة من أن تعظ أو تعلم في الكنيسة، فما هو تفسير تلك الكلمات؟ هناك خلفية تاريخية ثقافية لكلام الرسول بولس لهذه الكنيسة. فكلامه لم يكن من فراغ، بل كتبه لعلاج مشكلة تخص الرجال والنساء في تلك الكنيسة. فقد كان الرجال يحضرون العبادة، وأحيانًا يتشاجرون مع بعضهم البعض (١تي٢: ٨). وكانت النساء يحضرن العبادة وهن يرتدين ملابس غالية الثمن، وشعرهن مضفر بالذهب ولافت للأنظار. رفض الرسول بولس تلك المظاهر في العبادة. لم يرفض الرسول بولس زينة المرأة، ولكنه رفض الإفراط فيها. فالزينة الداخلية كانت الأهم (١تي٢: ٩-١٠). ويتفق بطرس الرسول معه في هذا الأمر (١بط٣: ٣-٤).

بعد نصيحة الرسول بولس عن زينة المرأة، ينتقل إلى فكرة أخرى وهي منع المرأة من التعليم في الكنيسة. فهل منع الرسول بولس للنساء منع مطلق يُطبَّق على كل الناس في العصور وفي كل الأماكن؟ يرى بعض الناس أن هذا المنع لا بد من تطبيقه في كل العصور وفي كل الأماكن، وبالتالي يستندون على هذه الفقرة لمنع المرأة من تولي مناصب كنسية. ولكن البعض الآخر يرى أن هذا الكلام له خلفية حضارية، ولا يصح أن يُطبَّق لمنع المرأة من تولي مناصب قيادية في الكنيسة. فلقد كانت هناك نزعة ضد تعليم المرأة الناموس، كان هناك قلائل من النساء اللائي تعلمن الناموس، وبالتالي كان هناك جهل وأمية لدى المرأة. وظهرت في أفسس هرطقات من معلمين جهلة (١تي١: ٤-٧). وكان هؤلاء الهراطقة يستغلون النساء في نشر تعاليمهم (١تي٥: ١٣؛ ٢تي٣: ٦). ولهذا منع الرسول بولس المرأة أن تعلِّم بسبب الجهل التي كانت فيه المرأة، وبسبب استغلال البعض لهن في نشر تعاليم زائفة. وقطعًا سيتغير الموقف عندما تتغير الظروف (١تي٢: ١١، قارن رو١٦: ١-٤، ٧؛ في٤: ٢-٣).

وكانت هناك خلفية يهودية لهذا الأمر، فالمرأة تأتي للمجمع لتسمع والرجل ليعلِّم. وكان محرَّمًا على المرأة أن تتعلم في مدرسة، وهكذا كانت مكانة النساء متساوية مع مكانة الأطفال والعبيد. كما أن الرسول بولس كتب هذه الرسائل في ظل واقع يوناني كانت المرأة تحظى فيه بمكانة متدنية، حيث ضم معبد أفروديت في كورنثوس العديد من الكاهنات العاهرات، وضم معبد ديانا في أفسس مئات الكاهنات كان لهن نفس الدور، ولم يكن مسموحًا للمرأة أن تشارك في أية اجتماعات عامة في المجتمع العام، فكيف يسمح الرسول بولس بذلك؟ ولو أن النساء المسيحيات شاركن في اجتماع عام في ذلك الزمان؛ لكانت الكنيسة قد وُصِفت بأنها مركز للفساد.

إذًا لقد قصد الرسول بولس منع المرأة من أن تعلِّم في مكان محدد، وزمن معين هو كنيسة أفسس التي كان يرعاها تيموثاوس. وهذه حكمة من الرسول بولس، فلم يكن مصرحًا للمرأة أن تعلِّم، لهذا لا يمكننا أن نأخذ هذا الجزء على أنه عائق ضد خدمة النساء، بل يجب أن نقرأه في ضوء خلفيته الثقافية اليهودية واليونانية.

فهل بعد ذلك هناك شكوك حول دعوة المرأة للخدمة؟ الجميع متساوون أمام الله ومتساوون في الخدمة. وخلاصة القول: الدعوة مقدمة للإنسان، ولا يوجد فرق بين رجل وامرأة، فالرجل والمرأة واحد في الخلق، فالله خلق الإنسان رجلاً أو امرأة بدون تمييز بينهما بسبب النوع. هذا ما تعلمناه من المسيح، فحيثما يكون المسيح حاضرًا تُهدم العوائق البشرية. فالكنيسة مدعوة إلى تقديم صورة الإنسانية الجديدة إلى العالم. وفي المسيح لا فرق بين رجل وامرأة. إن الرجال والنساء يجب أن يكتشفوا معًا مشاركتهم في خدمة المسيح في الكنيسة[٧] ولهذا ينبغي على الكنيسة أن تنادي بالمساواة، وبحقوق الإنسان، وبكل ما يرد للمرأة حقوقها.

اتْرُكُوهَا! لِمَاذَا تُزْعِجُونَهَا؟

إذا كانت المرأة في مصر أصبحت وزيرة، وأستاذة جامعية،.. إلخ؛ فهل يمكن أن تصبح في منصب ديني في الكنيسة في مصر مثل

[٧] صموئيل رزقي. المرأة شيخًا وقسًا في الكنيسة، ٩٨.

منصب شيخ أو قس أو أسقف؟ هل تزيد مسئوليات القس في الكنيسة بأي حال من الأحوال عن مسئوليات أستاذة جامعية؟ وهل تزيد مسئولية قس في الكنيسة عن مسئولية وزيرة في الدولة، أو رئيسة وزراء، أو رئيسة جمهورية؟ بالقطع لا، فقد تزيد الوظائف سالفة الذكر على خدمة قسيسة في الكنيسة.

وإذا كانت المرأة قد نجحت في مجالات عديدة في الدولة فلماذا لا نفتح الباب لخدمتها في الكنيسة دون قيد أو شرط؟ ويمكننا أن نلاحظ أن هناك فرقًا كبيرًا بين المجتمع المدني والمجتمع الديني في النظر إلى حقوق المرأة. فالمجتمع المدني قد أعطى للمرأة بعض حقوقها لأنه لا يتبع نصًا دينيًا، فهو يسير مع تطور المجتمع من حيث النظرة إلى مساواة المرأة بالرجل في كل مجالات الحياة. والمجتمع المدني يساوي بين المواطنين، ولا يفرّق بين رجل وامرأة. فيعامل الكل بمساواة، ويعطي كل ذي حق حقه، ويتيح كل الفرص أمام المواطنين. لكن يحدث العكس في المجتمع الديني، إذ يلجأ البعض إلى نصوص من الكتاب المقدس ليؤكدوا أن المرأة غير قادرة على العمل الديني وغير مؤهلة له. بل ويؤكد البعض أن إرادة الله هي أن تبقى المرأة مقادة باستمرار، مستندين في ذلك أيضًا إلى نصوص من الكتاب المقدس، ويرى آخرون أن العمل الديني هو عمل للرجال فقط.

ما معنى الرسامة؟ الرسامة تعني التخصيص، أو الفرز، أو التعيين. والواقع أن لفظ "رسامة" نفسه لم يرد في الكتاب المقدس؛ ولكن كل الكلمات التي تفيد معنى هذا الاصطلاح المألوف لنا إنما تعني في الحقيقية "التعيين" أو "الاختيار" أو "الانتخاب" لخدمة أو لمهمة معينة. (أع ١٤: ٢٣؛ ٢كو٨: ١٩؛ مر٣: ١٤؛ لو٦: ١٣). فمفهوم الرسامة هو تعيين أو تخصيص شخص ما لخدمة كنسية معينة. وإذا كانت الرسامة هي تخصيص الإنسان لخدمة ما لا أكثر ولا أقل، فهي بالتالي للرجل والمرأة. فيجب أن نسعى لرسامة المرأة شيخة وقسيسة أيضًا. فليس في مفهوم الكلمة ما يجعلنا نعتقد أنها لا تنطبق على المرأة. فماذا يحدث لو قلنا إن المرأة تعينت في منصب قسيس؟ لن يحدث شيء لأنها ستقوم بالمهمة على أكمل وجه. فالعدل يجعلنا لا نسأل هل تجوز رسامة المرأة أم لا بل يقودنا إلى المطالبة بوجوب رسامة المرأة. وعن طريق مجهوداتنا جميعا، نستطيع أن نري المرأة شيخا وقسًا في الكنيسة، فيخدم الرجل والمرأة الله بدون تمييز.[٨]

توصيات ختامية

أدعوك عزيزي القارئ لدراسة الكتاب المقدس حتى يؤكد لك حقه، ثم دع الله يجعلك تمتلك هذا الحق، ويطلقك بالروح القدس لكي تحقق قصده في حياتك سواء كرجل أو كامرأة، ولذلك رسم الدستور الإلهي طريق السعادة لكل من الرجل والمرأة.

توصيات للرجل

– ضع في قلبك أن تطيع كلمة الرب قبل كل شيء آخر، حتى وإن تعارضت مع بعض المفاهيم المترسخة داخلك بأن الكتاب المقدس يأمر الرجل بأن يتسلط على المرأة، وأنه لا يمكن للمرأة أن تتساوي بالرجل أو أن تكون في مركز قيادة روحية أو خدمة.

– إذا كنت كزوج سمحت لزوجتك أن تظل في الأسر بسبب قيادتك غير الكتابية، فعليك أن تضع نفسك أمام الله لتتقدم نحو تنمية العلاقة بينكما بما يتماشى مع قصد الله.

– أعلم أن المرأة هي شريكة حياة الرجل فيقاسمها مسراته ولا يخفى عنها آلامه فهي المعينة له. وهي إنسان نظيره فلا يتكبر عليها أو يستصغر شأنها ويهمل أمرها.

---

[٨] صموئيل رزقي. المرأة شيخًا وقسًا في الكنيسة، ١٢٢.

– عليه أن يطلب استشارتها ورأيها فيما يحيره من أمور، فيجد عندها رأيًا صائبًا يريح فكره، وهذا يتطلب من الرجل مرونة وقبولًا للاقتناع بالحجة السليمة.

– عليه أن يحترمها في بيتها وخارجه ولا يجرح إحساسها ولا يهين شعورها أو يقلل من كرامتها.

– وعليه أن يتخذها زوجة وصديقة له يفكر معها ويأنس بقربها، ومعنى هذا أن يكون لطيف المعشر ويترك لزوجته أن تتصرف بكل حرية.

– وعليه أن يبادر إلى حمايتها ويضحى من أجلها لأنه مسئول عن سلامتها، وبهذا يثبت صدق حبه لها وسعة إدراكه للحياة، فلا يكون متطرفًا ولا متزمتًا.

توصيات للمرأة

– اقبلي الحرية التي لكِ في المسيح، فحريتك تبدأ أولا من إيمانك الداخلي حتى ولو كان خارجك محاطًا بالقيود. فكثير من السجناء وجدوا حريتهم في الرب يسوع وهم خلف قضبان السجن، وأعلنوا أنهم أحرار رغم أنهم كانوا فعليًا في السجن، لذا افرحي بحريتك في المسيح يسوع.

– في تواضع عظيم، اقبلي المكانة التي خلقك الله فيها واتجهي نحوها. اقبلي قيمتك أمام الله وابدئي التحرك في هذا الاتجاه، وتدربي كيف تستمعين لصوته.

– من المهم للغاية أن تطلبي من الله أن يفحص قلبك وينقيه من أية مرارة ربما تشعرين بها تجاه الآخرين وخاصةً من الرجال.

– شاركي فهمك الجديد لدورك ومكانتك في المسيح مع الآخرين.

توصيات للكنيسة

أخيرًا، أعتقد أن للكنيسة اليوم دورًا في هذا القهر الواقع على المرأة، بسبب أنها حرمت العالم من عدد لا حصر له من البركات، لأنها لم تعمل على إنارة العقول تجاه مكانة المرأة الحقيقية ودورها الفعال في العالم. ولذلك يجب أن تتوب الكنيسة عن خنق خدمة ودور المرأة التي كان لديها الكثير لتقدمه للكنيسة والعالم.

الخاتمة

يقول الكتاب في سفر التكوين: "فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ"، موضحًا مكانة المرأة بالنسبة للرجل كما خلقها الله، فهي نظيرة في الخلق، مساوية له، وليست ذلك فقط بل جزءًا منه.

والكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ملئ بشخصيات نسائية كثيرة، وهذا يؤكد قدر وقيمة المرأة في نظر الرب. وبالرغم من تدهور وضع وحال المرأة عبر العصور والحضارات المختلفة، فقد أعاد الرب يسوع إلى المرأة مكانتها ودورها المساوي للرجل في القيمة والمكانة عند الرب. فمساواة المرأة بالرجل ليست حقًا للمرأة بقدر ما هي مؤشر لمدى امتداد الملكوت في وسط كنيسته، فصراع المرأة من أجل كرامتها هو جزء من صراع الكنيسة من أجل العالم .اليوم الإيمان مهدد في كافة أنحاء العالم، وللمرأة دور هام في المحافظة عليه ونقله للأجيال القادمة.

إن مهمتنا الأساسية أن ترفع هي بنفسها من شأنها، فترفض أن يعتبرها العالم أداة متعة أو لذة أو سلعة تُباع وتُشترى. فالمسيحية لا تفرق بين رجل وامرأة، فهما يكونان إنسانًا متكاملاً في اتحادهما.

فإذا أخذت المرأة مكانتها الحقيقية فهي بالتالي ستؤثر على المجتمع بكامله لأنها هي أساس العائلة والمربية للنشء، وهي التي تخلق جوًا من السلام والحب والدفء لكي ينموا أولادها أسوياء متجنبين آلام التجارب ومتسلحين بقوة الحق وعمل الروح القدس لجعل عالمهم أفضل.

وقد تناول هذا البحث موضوع مكانة المرأة في المسيحية، فناقش الفصل الأول مكانة المرأة في الحضارات المختلفة قديمًا كالحضارة الفرعونية والبابلية والآشورية والرومانية ثم وضع المرأة في المجتمعات العربية، وتناول الفصل الثاني مكانة المرأة في العهد القديم وكيف خلقها الله بشمل منفرد وعجيب وجعلها معينًا نظيرًا للرجل، ثم عرض الفصل الثالث موقف العهد الجديد من المرأة ونظرة يسوع إلى المرأة ثم موقف الكنيسة الأولى منها، وأخيرًا دور ومكانة المرأة المسيحية اليوم.

المراجع

الكتاب المقدس: ترجمة البستاني وفانديك. دار الكتاب المقدس، القاهرة: ١٩٩٩

ـــــ : الترجمة الكاثوليكية. دار المشرق، بيروت: ٢٠٠٠

ـــــ : العهد القديم العبري (ترجمة بين السطور). الجامعة الأنطونية، بيروت: ٢٠٠٧.

ـــــ : ترجمة الكتاب الشريف. دار المشرق، بيروت: ٢٠٠٠

ـــــ :الترجمة العربية المشتركة. جمعية الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، بيروت، لبنان: ١٩٩٥

السعيد يوسف، سوزان. المرأة في الشريعة اليهودية حقوقها وواجباتها: دراسة مقارنة مع حضارات الشرق الأدنى القديم. عين للدراسات والبحوث الإنسانية، القاهرة: ٢٠٠٥

بندلي، كوستي. المرأة في موقعها ومرتجاها. مجلس كنائس الشرق الأوسط، منشورات النور، بيروت، لبنان: ١٩٩٤

جبور، اسبيرو. المرأة في نظر الكنيسة. المؤلف، دمشق، سوريا: ١٩٩٤

ديروش نوبلكور، كريستيان. المرأة الفرعونية. ترجمة: فاطمة عبد الله، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة: ٢٠١٧

غريب خوري، إيما. المرأة في الكتاب المقدس: من حواء إلى مريم. تعاونية النور الأرثوذكسية، طرابلس، لبنان: بدون.

فاخوري، مها. حقوق المرأة في المسيحية. منشورات النور، بيروت، لبنان: ١٩٩٨

فانجيميرين، وليام آى. القاموس الموسوعى للعهد القديم. دار الكلمة، طبعة أولى، القاهرة: ٢٠٠٩

قسيس، رياض. اترك أباك وأمّك واتبع زوجتك! هل يُعقل؟ متاح على http://www.comeandsee.com

كتناشو، حنا، وكتناشو، دينا. أطلقوني. كنيسة الإتحاد المسيحي، فلسطين:٢٠٠٢

كراب، جوان. المرأة حسب خطة الله. ترجمة: داليا وهيب، PTW، القاهرة: ٢٠٠٦

لوكير، هربرت. كل نساء الكتاب المقدس. دار الثقافة، القاهرة: ٢٠٠٠

المسكين، متى. المرأة حقوقها وواجباتها في الحياة الاجتماعية والدينية في الكنيسة الأولى. دير الأنبا مقار، وادي النطرون: ١٩٨٢

مشرقي، صموئيل. مكانة المرأة في المسيحية. كنيسة الله الخمسينية، القاهرة: ١٩٦٥

نيقولا، فنيس. قضيتك يا سيدتي، مسئولية مَنْ؟. المؤلف، القاهرة: ٢٠٠٩

والتون، جون إتش. عالم آدم وحواء المفقود. ترجمة: أمير سامي، إيفانيا للنشر، كريم كمال، القاهرة: ٢٠١٨

Biblia Hebraica Stuttgartensia, The United German תורה נביאים וכתובים Bible Societies, Germany, 1997.

Davidson, Benjamin. The Analytical Hebrew and Chaldee Lexicon. London:

Samuel, Bagster and sons. 1870.

Septuagint Old Testament, The Word Bible Software, available at http://www.theword.net

Septuaginta, ed. Rahlfs, Alfred. Stuttgart: Württembergische Bibelanstalt, 1935.

Strong, James. Strong's Hebrew Dictionary, AGES Software, USA, version1.0, 1999.